

شرح

المنظومة الزعكرية
في مهمات العقيدة والأخلاق الإسلامية

نظم وشرح فضيلة الشيخ:

أبي محمد عبد المجيد بن يحيى بن زيد الحجري الشافعي

كاتب النسخة في دارنا والآخرة



شرح
المنظومة الزعكورية

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ

.....



المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

(المنظومة الزعكرية في مهمات العقيدة والأخلاق الإسلامية).

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد

أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما بعد:

قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم): افتتح المصنف عقيدته بـ(بسم الله الرحمن

الرحيم) اقتداء بكتاب الله عز وجل واقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فإنه كان يفتتح ما يتعلق بكتاباتهِ بالبسملة

(والباء) للاستعانة (واسم) مشتق من العلو وهو السمو (والله) لفظ الجلالة

علم على الذات العلية وهو أعرف المعارف وهو الاسم الأعظم على الصحيح

(الرحمن) على وزن فعلان وهو من الأسماء المختصة بالله عز وجل متضمن

للرحمة العامة (الرحيم) على وزن فعيل وهو اسم عام سمى الله به نبيه صلى الله

عليه وسلم وهو دال على الرحمة الواصلة قال الله عز وجل: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ

(١) في هذا اليوم الأثنين الموافق: للسادس والعشرين من ربيع الأول لعام ثلاثة وأربعين

وأربعمائة وألف، وفي مسجد الصحابة بمدينة الغيضة، نشرع في تدريس (المنظومة الزعكرية في

مهمات العقيدة والأخلاق الإسلامية)..

رَحِيمًا}.

قوله: (المنظومة) أي: ليست بنثر وإنما هي نظم، **(الزعرية)** نسبة إلى قبيلة الزعكرة التي منها المصنف وهي في بلاد حجور وأصولها في بلاد حاشد.

(في مهمات) العقيدة ما يعقد عليه القلب، **(والأخلاق)** ما يتخلق به المرء من أقوال وأفعال ومعتقدات، **(الإسلامية)** التي جاءت في القرآن والسنة وحث ورغب عليها الإسلام والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: **«إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمَّ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ»**، وقال الله عز وجل: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** [القلم: ٤]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: **«كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»**، وقال عبد الله بن عمرو: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً).





مقدمة المتن

- مقدمة المقدمة: هي ما توضع قبل الدخول في الموضوع وغالبًا ما تتضمن الحمد والثناء وما يتعلق بتسمية الكتاب وما وضع له.

قال الناظم:

- ١- يُقُولُ رَاجِي رَحْمَةِ الْغُفُورِ ❀ عَبْدُ الْحَمِيدِ الزُّعْكَرِي الْحَجُّورِي
- ٢- بِاسْمِ إِلَهِي أَبْتَدِي فِي نَظْمِيَا ❀ وَذَا كِرًّا وَشَاكِرًا وَمُثْنِيَا
- ٣- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ ❀ وَالشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَى امْتِنَانِهِ
- ٤- وَشَاهِدًا لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ ❀ مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكِ وَلَا تَنْدِيدِ
- ٥- وَهَكَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُهُ ❀ وَعَبْدُهُ حَبِيبُهُ خَلِيلُهُ
- ٦- ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ تَغْشَى أَحْمَدًا ❀ طَرِيقَهُ فَاسْلُكْ إِذَا رُمْتَ الْهُدَى
- ٧- وَبَعْدَ ذَلِكَ فَهَذِهِ مِنْظُومَةٌ ❀ أَبْيَاتُهَا مَعْدُودَةٌ مَفْهُومَةٌ
- ٨- قَصِدْتُ فِيهَا نَفْعَ نَفْسِي أَوَّلًا ❀ وَرَاجِيًا نَفْعًا بِهَا بَيْنَ الْمَلَا
- ٩- مَعَ ضَعْفِ حَالِ أَسْأَلَ الرَّحْمَنَا ❀ إِصْلَاحِ أَعْمَالٍ فَذَا رَجَانَا
- ١٠- مَوْضُوعُهَا الْعَقِيدَةُ الزَّكِيَّةُ ❀ سَمِّيْتُهَا فِي النَّظْمِ زُعْكَرِيَّةُ
- ١١- فَقَدَّمَنْ تَعَلَّمِ الْإِيمَانَ ❀ وَبَعْدَهُ تَعَلَّمِ الْقُرْآنِ
- ١٢- وَالنَّصُّ فِيهِ مَا رَوَاهُ جُنْدُبُ ❀ فَالزَّمْ هُدِيَّتَ فَهُوَ نِعْمَ الْمَطْلَبُ
- ١٣- يَا رَبَّنَا حَقِّقْ لِي الْأَمَالَ ❀ وَأَصْلِحْ الْأَقْوَالَ وَالْأَفْعَالَ

(يَقُولُ) أي: المصنف رحمه الله، (رَاجِي) الذي يرجو (رَحْمَةً) الله عز وجل الذي من شأنه أنه (الْغُفُور) الذي يغفر الذنوب ويستر العيوب وتجاوز عن السيئات ويرفع الدرجات

(عَبْدُ الْحَمِيدِ الزُّعْكُرِيِّ الْحُجُورِيِّ) والذي في الطرح أن يكون الحجوري قبل الزعكري؛ لأن النسب العام يقدم على النسب الخاص، والنسب الخاص: هو الذي يعرف به يكون في آخر الشيء وحجور نسبة إلى بلاد واسعة لحجور بن أسلم الأكبر ويرجعون إلى حاشد، وحاشد ترجع إلى همدان.

(بِاسْمِ إِلَهِي أَبْتَدِي فِي نَظْمِيَا) أي: بـ(اسم) الله قد تقدم المعنى، (إِلَهِي) اسمه (الإله)، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أي: المألوه والمعبود محبة وتعظيمًا، (أَبْتَدِي) قبل كل شيء؛ لأن ذكر الله قبل العمل يبارك فيه ويصرف عنه الشيطان، (فِي نَظْمِيَا) مع أن بعض أهل العلم يرى عدم جواز التسمية قبل الشعر لكن الصحيح جواز ذلك.

(وَذَاكِرًا) لله عز وجل على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة (وَشَاكِرًا) لله عز وجل بلسان الحال والمقال؛ فإن الذكر قد يراد به: الطاعة فيدخل به ذكر اللسان والأعمال والاعتقادات، وقد يراد به: مجرد ذكر اللسان والشكر يشمل جميع أعمال الجوارح سواء القلب أو اللسان أو الجوارح:

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

(وَمُثْنِيًا) مثنيًا على الله عز وجل، **والثناء**: هو تكرار الحمد، فعند أن تقول:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]: هذا حمد، فإذا قلت: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

[الفاتحة:٣]: هذا ثناء، فإذا قلت: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]: هذا مجد فهو

حمد الثناء والمجد هو حمد، إلا أن الثناء حمد يتكرر، والمجد يكون بصفات

العظمة والجلال والكبرياء، والمدح قد يكون مع المحبة وقد يكون بدون

محبة، والشكر والحمد بينهما عموم وخصوص، والشكر يكون باللسان

والقلب والجوارح، وهو على الصفات المتعدية كالكرم والإحسان وغير ذلك.

والحمد يكون بالقلب واللسان، ويكون على الصفات اللازمة والمتعدية

فتقول شكرت الله حمدت الله على جماله وحمدته على إحسانه.

إذا هذه أربعة أشياء إذا فهمتها هنا سهّل عليك الفهم لها في غير هذا

الموطن: **الأول**: (الحمد والشكر)؛ الحمد آله اللسان والقلب والجوارح إلا أن

المتعلق به المتعدي من الأفعال فقط تقول حمدت الله عز وجل على إحسانه

على كرمه على جوده على فضله، أقصد: شكرته على إحسانه على جوده على

كرمه، الحمد آله اللسان والقلب ما يكون بالجوارح ويكون على الصفات

اللازمة المتعدية فحمدت الله على علوه حمدت الله على علمه حمدت الله على

إحسانه إلى غير ذلك الثناء هو الحمد إذا تكرر والمجد هو الحمد إذا كان

بصفات الجلال والعظمة والمدح هو ذكر محاسن لكن قد يكون مع المحبة،

وقد يكون بدون محبة (والحمد لله على إحسانه) (والشكر لله على امتنانه) وقد

كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتتح خطبه بالحمد والثناء والإحسان، والمراد بها هنا: الإنعام وأعظمه التوفيق للإسلام والشكر لله على امتنانه، أي: على ما أمتنَّ به علينا من النعم الكثيرة اللازمة والمتعدية وحديث: **«كل خطبة لا يبدأ فيها بحمد الله أو أمر ما يبدأ به بحمد الله فهو أتر وهو أقطع»**، حديث ضعيف، ولكن يستدل بعموم أحاديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتتح بالحمد والثناء وشاهدا يعني أشهد ان لا إله إلا الله؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول كما في حديث أبي هريرة: **«كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُدٌ، فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ»** أخرجه أبو داود وغيره .

(وَشَاهِدًا لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ) أي: توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية، **(مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكِ)** من غير أن يكون له شريك في ملكه أو ظهير أو معين أو نصير **(وَلَا تَنْدِيدٍ)** أن يجعل له ندًا مماثلاً؛ قال تعالى: **﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾** [البقرة: ٢٢]، أي: مثلاء ونظراء.

(وَهَكَذَا) أي: والشهادة أيضًا يدخل فيها قول القائل **(مُحَمَّدٌ رَسُولُهُ)** أشهد أن محمدًا عبده ورسوله محمد أشهر أسماء محمد صلى الله عليه وسلم ذكرت في القرآن في أربع مواطن وله من الأسماء: (أحمد، ونبي التوبة، ونبي الرحمة، والحاشر، والمقفي) وغير ذلك، وسماه الله: رؤوفًا رحيمًا، رسوله قيام الفرق بين النبي والرسول؛ أن الرسول يرسل إلى قوم مخالفين، والنبي كالمجدد لدين الرسول الذي سبقه، وكل رسول نبي ولا عكس كل رسول نبي ولا عكس

(وَعَبْدُهُ) جيء بهذا اللفظ ردًا على الغلاة الذين ألهوه ورفعوه فوق منزلته وحيء بلفظ الرسول رد على الجفافة الذي زعموا أنه إنما هو بشر زكي استطاع أن يجمع الناس على هذه الأقوال والأفعال (حَبِيبُهُ خَلِيلُهُ) حبيبه أي: حبيب الله وإنما جيء بها من باب تكملة البيت وإلا فإن له الخلة وهي أرفع من المحبة:

قد تخللت مسلك الروح مني ❀❀ ولذا سمي الخليل خليلًا

- وما جاء: (أن محمد حبيب رب العالمين وإبراهيم خليل رب العالمين)؛ الحديث لا يصح، والتفريق بينهما كذلك لا يصح فكلهما خليل الله، ثبتت الخلة لإبراهيم بالقرآن وثبتت الخلة لمحمد صلى الله عليه وسلم بالسنة.

(ثُمَّ) يعني: بعد الشهادة (صَلَاةُ اللَّهِ) والصلاة من الله ذكر محمد في الملاء الأعلى، والصلاة من غير الله الدعاء: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنْ صَلَاتِكَ سَكَنَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، أي: أدعوا لهم، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. أي: يدعون له، بينما ربنا عز وجل صلاته ذكر العبد في الملاء الأعلى، (تَغَشَى أَحْمَدًا) أي: تغطي وتحيط بأحمد ومن أسماؤه ذكره عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

(طَرِيقَهُ فَاسْلِكْ إِذَا رُمْتَ الْهُدَى) هذه وصية ونصيحة: فإذا رمت السلام في دينك ودنياك وأردت الهداية التامة الموصلة إلى الله عز وجل فاسلك طريق محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ

تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴿[آل عمران: ٣١].

(وَبَعْدَ ذَا) يؤتى بها بعد الحمد والثناء، ويؤتى بـ(أما بعد)، وأختلف العلماء في أول من قالها؟ فقيل: داوود في فصل الخطاب التي أوتيه، وقيل: بأنه قس بن ساعدة، وقيل: سبحان بن مالك، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي بها في خطبه ومواعظه وكثير من شأنه وتقدير الكلام ومهما يكن من شيء بعد فكذا).
(فَهَذِهِ مَنْظُومَةٌ ❦❦ آيَاتُهَا مَعْدُودَةٌ مَفْهُومَةٌ) سيأتي ذكر عد أبياتها في آخرها إذ أنها تتكون من مائتين وثلاثين بيتًا مع المقدمة والخاتمة، وهذه تعتبر ليست بالمختصرة وليست بالمطولة.

(فَصَدَتْ فِيهَا) أي: السبب في تأليفها (نَفْعٌ نَفْسِيٌّ أَوَّلًا) أي: بنظم ما يتعلق بباب العقيدة واكتساب الأجور الحميدة وغير ذلك، (وَرَأَجِيًا نَفْعًا بِهَا بَيْنَ الْمَلَآ) إما بحفظ أحد لها أو بشرحها لها أو بتدريس لها أو غير ذلك مما يحصل من التأليف والتصنيف والنظم وغير ذلك، فنسأل الله أن يجعلها خالصة لوجهه نافعة لعباده.

(مَعَ ضَعْفِ حَالِ) اعتراف من المصنف رحمه الله بضعف باعه وقلة اطلاعه، ولكن لا يمنع الأنسان أن يشارك بشيء من الخير وأن قلَّ علمه فقل عمله؛ إذ أننا لو اعتمدنا أنه لا يؤلف إلا من كَمَّلَ ولا ينصح إلا من كَمَّلَ هذا قد يكون متعذرًا لا سيما في الأزمنة المتأخرة، (أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ) أي: سألت الله عز وجل (إِصْلَاحَ أَعْمَالِ قَدَّا رَجَانًا)؛ لأن الله إذا لم يصلح العمل لا خير فيه، والله لا

يصلح عمل المفسدين وإنما يصلح عمل المؤمنين، وهذا رجاؤنا من الله سبحانه وتعالى: أن يصلح لنا الشأن كله.

(مَوْضُوعُهَا) أي: موضوع هذه (العقيدة) لماذا صنفت؟ ولماذا أُلِّفت

العقيدة (الزَكِيَّة) يعني: تكلم عما يعقد عليه القلب العقيدة الزكية الصافية التي دعا إليها الأنبياء ودعا إليها المرسلون ودعا إليها الأصفياء والأتقياء في كل زمن وحين، والاهتمام بالعقيدة من المهمات التي لا ينبغي أن يفتر الإنسان عنها؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بدأ بالدعوة إلى التوحيد والعقيدة ثم بعد ذلك يأتي بتعليم الأحكام، (سَمَّيْتَهَا فِي النَّظْمِ زُعْرِيَّةً) نسبة إلى المصنف فبعض الناس ينسب المنظومة إلى ما تكلم فيه، مثلاً: العقيدة السلفية أو إلى قافيتها كالنونية أو إلى سعتها كشافية الكافية أو إلى ما تنتهي به كالحائية أو اللامية ونحو ذلك، وبعضهم ينسبها إلى نفسه.

(فَقَدَّمَنُ تَعَلَّمَ الْإِيمَانَ) إذا أردت أن تتعلم العلم النافع فابدأ بتعلم الإيمان؛

الذي تضمنه حديث جبريل عليه السلام، وفيه: قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ:

«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ

وَشَرِّهِ»^(١)، (وَبَعْدَهُ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ) يعني: ابدأ بتعلم العقيدة، ثم تعلم القرآن ابدأ

بتعلم العقيدة الصحيحة، ثم تعلم القرآن ما الدليل؟ (وَالنَّصُّ فِيهِ مَا رَوَاهُ جُنْدَبٌ)

جندب بن عبد الله، عند ابن ماجه قال: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ١- (٨).

فَتَيَّانُ حَزَاورَةٌ، "فَتَعَلَّمْنَا الْإِيْمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا"^(١).

(فَالزَّمْ هُدِيْت فَهُوَ نِعْمَ الْمَطْلَبُ) هذا دعاء ونصيحة؛ فالزم هديت إلى الخير تعلم العقيدة والتوحيد قبل بقية الأبواب وأعمل به في جميع الأحوال فهو نِعْمَ المطلوب، نِعْمَ ما يُطلب العقيدة والتوحيد، فإذا صلحت صلحت الأعمال، وإذا فسدت فسدت الأعمال.

(يَا رَبَّنَا حَقِّقْ لِي الْأَمَالَ) أي: ما أرجوه وأؤمله من الخير لي ولنفسي ولأبنائي ولطلابي وللمسلمين، (وَأَصْلِحِ الْأَقْوَالَ وَالْأَفْعَالَ) سواء قول القلب واللسان أو فعل القلب واللسان، فصلاحه وتوفيقه وتسديده من الله سبحانه وتعالى، والحمد لله رب العالمين.



(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٦١).



تقسيم التوحيد

قال رحمه الله:

- ١٤- شَهَادَةُ الْإِلَهِ خَيْرُ مَطْلَبٍ ❀ فَخَالِفْنِ مُعْتَزِلِيَّ الْمَذْهَبِ
- ١٥- دَلِيلُهَا «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَا» ❀ فَخُذْ هُدَيْتَ لَا تَكُنْ مُجَادِلًا
- ١٦- حَتَّى يَقُولُوا إِنَّهُ الْإِلَهِ ❀ مَعْبُودُنَا الرَّحْمَنُ لَا سِوَاهُ
- ١٧- تَوْحِيدُ رَبِّي بِثَلَاثٍ يُحْصَرُ ❀ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ سَوْفَ تُذَكَّرُ
- ١٨- أَقُولُ إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ خَالِقٌ ❀ مُدَبِّرٌ وَمَالِكٌ وَرَازِقٌ
- ١٩- مَعْبُودُنَا بِالْحَقِّ لَا سِوَاهُ ❀ وَذَاكَ مَعْنَى أَنَّهُ الْإِلَهِ
- ٢٠- شُرُوطُهَا سَبْعٌ وَزِدْهَا وَاحِدًا ❀ فَحَقِّقْنِ وَلَا تَكُنْ مُعَايِدًا
- ٢١- عِلْمٌ مَحَبَّةٌ يَقِينٌ وَالْقَبُولُ ❀ صِدْقٌ وَإِخْلَاصٌ فَحَقِّقْ مَا أَقُولُ
- ٢٢- وَالْكَفْرُ بِالطَّاعُوتِ يَا سَعِيدُ ❀ وَالْإِنْقِيَادُ شَرْطُهَا الْأَكِيدُ
- ٢٣- فَاحْذَرْ تَوَكُّلًا عَلَى الْمُقْبُورِ ❀ فَإِنَّهُ شِرْكٌ وَعَنْ تَصْوِيرِ
- ٢٤- أَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى مَعَ الصِّفَاتِ ❀ فَحَقِّقِ التَّوْحِيدَ فِي الْإِثْبَاتِ
- ٢٥- أَوْلُهَا التَّوْحِيدُ فِي الْأَفْعَالِ ❀ لِرَبِّنَا الْمَوْصُوفِ بِالْجَلَالِ
- ٢٦- ثَانِيهِمَا تَوْحِيدُ قَصْدٍ وَطَلَبِ ❀ وَضِدُّهُ مَا فِيهِ قَتْلٌ وَسَلْبُ
- ٢٧- ثَالِثُهَا فِي قِسْمَةِ الْإِثْبَاتِ ❀ يُعْرَفُ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ
- ٢٨- يُؤْخَذُ فِيهِ بِالِدَّلِيلِ وَكَفَى ❀ إِذْ أَنَّهُ غَيْبٌ فَدَعِ عَنْكَ الْجَفَا

قال: (تقسيم التوحيد): وبدأ بالكلام على التوحيد؛ لأنه الدين الذي أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب، ومن أجله أوجد الله عز وجل الخليفة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، والكلام عليه هو المقدم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل: «إِنَّكَ تَقْدِمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى..»^(١)، وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ابتداءً: «قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»^(٢)، وقال صلى الله عليه وسلم: «أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٣)، فهو الحق المقدم والواجب المفخم الذي لا يجوز أن يؤخر، قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث معاذ بن جبل في "الصحيحين": قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟»، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»^(٤)، فمن صلح توحيده وأن قصر في بعض العمل فمآله إلى الخير، ومن فسد توحيده وإن صلح عمله فمآله إلى الشر والضيع.

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٣٧٢).

(٢) أخرجه ابن خزيمة حديث رقم: (١٥٩) عن طارق المحاربي رضي الله عنه، وجاء عند ابن حبان والدارقطني.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٩٤٦)، ومسلم برقم: ٣٣- (٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٣٧٣).

- ثم أيضًا إن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام تقسيم سلفي أخذ من أدلة الكتاب والسنة بسبرها والنظر فيها، وأهل البدع ينكرون هذا التقسيم ويعتبرونه من الأمور المخالفة؛ لأن هذا التقسيم يُظهر ما هم عليه من الشرك والتنديد، الآن الصوفي القبوري والرافضي القبوري والباطني القبوري ومن في باهم يعتقدون: أن التوحيد هو إفراد الله بالخلق والملك والتدبير، نقول لهم: هذا الاعتقاد منكم قد وافقكم عليه أبو لهب وأبو جهل ومن إليهم من كفار قريش يعتقدون أن الله عز وجل هو الخالق الرازق المالك المدبر: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وهذا في آيات كثيرات وفي أدلة وافرات؛ إذاً التوحيد الذي دعت إليه الرسل هو: معنى (لا إله إلا الله)؛ لأن النوع الأول وهو الربوبية إنما أنكره شواذ من البشرية كالطبايعيين، وكالشيوعيين، وأنكره فرعون من باب المكابرة كما قال عز وجل: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]، لكن توحيد العبادة تنكر له جميع طوائف الكفار من منبوزين وهندوس ومجوس ويهود ونصارى وعباد القبور وعباد الملائكة والأولياء والصالحين كلهم تنكروا لهذا الباب، فينبغي للإنسان أن يهتم بمعرفة التوحيد إجمالاً وتفصيلاً.

يقول رحمه الله: (شَهَادَةُ الْإِلَهِ) أي: شهادة (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) (خَيْرُ مَطْلَبٍ)

أفضل ما يطلب من العباد وهي واجبة عليهم فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم لها ويقَاتِلُهُمْ عَلَى تَرْكِهَا، (فَخَالَفَنُ مُعْتَزِلِيَّ الْمَذْهَبِ)؛ لأن المعتزلة

يزعمون أن أول واجب على العباد النظر في الآيات الكونية ليتوصلوا بها إلى إثبات الخالق سبحانه وتعالى ثم بعد النظر تأتي بالتوحيد وهذا خلاف عقيدة المسلمين فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال **«أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»**^(١)، لم يكن فيه النظر ولا القصد إلى النظر وإنما أول واجب على العبيد هو التوحيد الإقرار به والانقياد له؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: **«قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»**^(٢).

(دَلِيلُهَا) الدليل على أن أول واجب على العبيد قول: لا إله إلا الله **«أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ»** حديث ابن عمر في "الصحيحين" جاء عن أبي هريرة وجاء عن عمر، جاء عن جابر عن عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقوله: **«أُمِرْتُ»** أي: أمره الله عز وجل: **«أَنْ أَقَاتِلَ»** أي: الكفار على قول هذه الكلمة أو الانقياد لحكم هذه الكلمة، قال الله عز وجل: **«قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا»** [آل عمران: ٦٤]، **(فَخُذْ)** أي: هذا الدليل المتفق عليه **(هُدِيَتْ)** إلى السبيل القويم والطريق المستقيم **(لَا تَكُنْ مُجَادِلًا)** مخصصًا؛ لأن المعتزلة والأشاعرة والجهمية ومن إليهم من أصحاب الأهواء أصحاب جدل في هذا الباب وفي

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٩٤٦)، ومسلم برقم: ٣٣- (٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن خزيمة حديث رقم: (١٥٩) عن طارق المحاربي رضي الله عنه، وجاء عند ابن

غيره، فحذر الناظم من الجدل والخصام مع وجود الأدلة الثابتة في الكتاب والسنة.

(حَتَّى يَقُولُوا إِنَّهُ الْإِلَٰه) يعني: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، (مَعْبُودَنَا الرَّحْمَنُ لَا سِوَاهُ) وهذا معنى: (لا إله إلا الله) جاء بها الناظم على هذه الصورة؛ لأن نظم (لا إله إلا الله) بهذا النسق قد يتعثر، لكن حتى يقول: أنه الإله هذا إثبات معبودنا الرحمن لا سواه؛ فـ (لَا سِوَاهُ) نفي، و(لا إله إلا الله) تتكون من: النفي والإثبات، (لا إله) نفي الألوهية عما سوى الله، (إلا الله) إثبات، فإذا وجدت جملة فيها نفي وأثبت سواء تقدم الإثبات أو النفي أو تأخر النفي أو الإثبات فيها معنى (لا إله إلا الله) مثل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، هذه هي معنى (لا إله إلا الله)، ومثل: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾: هي معنى: (لا إله إلا الله) فقله ﴿وَأَعْبُدُوا﴾: إثبات، ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ نفي، وكثير من آيات القرآن على هذا النسق: إما أن تصرح بـ(لا إله إلا الله) كقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وإما أن تأتي بمعنى (لا إله إلا الله)؛ كقوله تعالى: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]، هذه فيها معنى (لا إله إلا الله) فقله: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾: نفي، وقوله ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾: إثبات، وهكذا (مَعْبُودَنَا) أي: الذي نتعبد له بالطاعات والقربات، (الرَّحْمَنُ) وهو من أسماء الله الحسنى، (لَا سِوَاهُ) لا غيره.

(تَوْحِيدُ رَبِّي بِثَلَاثٍ يُحْصَرُ ❀❀ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ سَوْفَ تُذَكَّرُ): لماذا قلت:
 (تَوْحِيدُ رَبِّي) ولم أقل: (التوحيد بثلاثة يحصر)؟ **الجواب:** لأن التوحيد عند
 العلماء ينقسم إلى قسمين: **الأول:** توحيد المُرْسَل، **والثاني:** توحيد المُرْسَل،
 ف(توحيد المُرْسَل) الذي هو الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية،
 وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، و(توحيد المُرْسَل): الذي هو
 النبي صلى الله عليه وسلم، وهو: إفراده بالمتابعة؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ
 تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]،
 فنحن نتكلم عن توحيد الذي يتعلق بالله عز وجل، (تَوْحِيدُ رَبِّي بِثَلَاثٍ يُحْصَرُ)
 عُرِفَ بالاستقراء ومتابعة الأدلة، ليس هناك دليل عن النبي صلى الله عليه وسلم
 أنه قال: التوحيد ثلاث أقسام، لكن باستقراء الأدلة نجد إلى أن التوحيد ثلاث
 أقسام، في هذه الآيات سوف تذكر إشارة وربما تنبيهًا إلى المهمات في هذا
 الباب.

(أَقُولُ إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ خَالِقٌ) قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾
 [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ
 الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، (مُدَبِّرٌ) قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ
 وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وقال: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى
 الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]، (وَمَالِكٌ) قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ﴾ [آل
 عمران: ٢٦]، (وَرَزَاقٌ) قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾



[الذاريات: ٥٨]، فهذا يسمى بماذا يا إخوة؟ يُسمى بتوحيد الربوبية، وإن شئت أن تقول: إفراد الله بأفعاله، وإن شئت أن تقول: إفراد الله بالخلق والملك والتدبير، كل هذا يسمى توحيد الربوبية، وهو توحيد علمي اعتقادي يعني: تعتقد ذلك، أقول: أن الله حي خالق مدبر ومالك ورازق، هذا النوع الأول إلا أنه سيقع لف ونشر ونشير في آخر المطاف إلى هذا النوع.

(مَعْبُودًا بِالْحَقِّ لَا سِوَاهُ) هذا النوع الثاني، وذاك معنى إنه الإله (مَعْبُودًا) أي: الله عز وجل (بِالْحَقِّ) كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، ومعنى: (لا إله إلا الله): لا معبود بحق إلا الله، فلا يصلح أن تقول: (لا موجود إلا الله) هذا قول الحلولية والاتحادية، ولا يصلح أن تقول: (لا معبود إلا الله)؛ لأنه قد عُبدَ مع الله الكثير والكثير من المعبودات، ولا يصح أن تقول: (لا خالق ورازق إلا الله)؛ لأن هذا توحيد أقر به حتى المشركون المنددون من كفار قريش لكن معنى: (لا إله إلا الله): لا معبود بحق إلا الله، فقولنا: (لا معبود بحق) خرج به ما عبد بالباطل، (وَذَلِكَ مَعْنَى أَنَّهُ الْإِلَهَ) الإله أن يفرد بالعبادة وأن يتقرب إليه ويؤله ويحب يعبد محبة وتعظيمًا.

(شُرُوطَهَا) أي: شروط "لا إله إلا الله" (سَبْعٌ) وهذا هو المشهور عند أكثر العلماء لكن زاد بعضهم شرطًا ثامنًا فلهذا أشير إليها بهذا الموطن (شُرُوطَهَا سَبْعٌ وَزِدْهَا وَاحِدًا)، (فَحَقَّقْنِ) أي: لهذه الشروط (وَلَا تَكُنَّ مُعَانِدًا) مجادلًا مخاصمًا معرضًا.

(عِلْمٌ) قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وفي حديث عثمان بن عفان عند "مسلم": قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١)، ولا يلزم أن نأتي إلى العامي ونقول له: ما شروط لا إله إلا الله؟ يقول: أنا ما أدري بها، وتقول له: إذا أنت لست مسلم، فإذا ما عرفت هذه الشروط لا يلزم، لكن الذي يلزم: أن الإنسان يعلم معنى لا إله إلا الله سواء أتى بهذه الشروط على التفاصيل التي يذكرها أهل العلم، والترتيب الذي يذكره أهل العلم أو كان لا يعرف هذه الشروط، لكن قوله: (لا إله إلا الله) يكون مانعاً له عن صرف العبادة لغير الله سبحانه وتعالى، فهذا أول الشروط وأعلى الشروط، وكثير ممن يعبد غير الله يجهل هذا المعنى، فمثلاً: الآن عبَادُ القبور يقولون: (لا إله إلا الله) لكن ما عِلِمُوا معناها، يدعون غير الله، يندرون لغير الله، يذبحون لغير الله، يطوفون بالقبور ويتمسحون بها، ويرجونها ويتوكلون عليها، فإذا قيل لهم: قولوا لا إله إلا الله، قالوا: نحن نقول لا إله إلا الله، لكن ما عِلِمُوا معناها، انظر إلى الكفار لما قيل لهم: (قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [ص: ٥]، وقال الله عنهم أيضاً: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصفات: ٣٥].

(مَحَبَّةٌ) المحبة لها؛ قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٤٣- (٢٦).



[المائدة: ٥٤]، وفي حديث أنس رضي الله عنه: «أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»^(١)، (يَقِينٌ) ... ، (وَالْقَبُولُ) القبول لهذه الكلمة وعدم الرد، قال الله عز وجل: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا» [الحجرات: ١٥]، وهكذا إذا دعوا إلى الله ورسوله يحكم بينهم نعم القبول لها، أيضا كما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم إلى قول (لا إله إلا الله) فإذا قبلوها وعملوا بها وانقادوا لها كان ذلك حفظاً لدمائهم وأموالهم.

(صِدْقٌ) التصديق بها؛ قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» [التوبة: ١١٩]، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ صَادِقًا بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢)، وقال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»^(٣)، (وَإِخْلَاصٌ) كما قال الله عز وجل: «فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ» [الزمر: ٢]، وقال الله عز وجل: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» [البينة: ٥]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(٤)، (لا إله إلا الله) هي أفضل الأعمال، فيشترط فيها: النية، وأن تكون خالصة لله عز وجل، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٦).

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٩٦٨٩) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٢٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: (١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»^(١)، (فَحَقَّقْ مَا أَقُولُ) حقق ما تقدم ذكره وبيانه.

(وَالْكَفْرُ بِالطَّاغُوتِ) أيضًا من شروطها: الكفر بالطاغوت، قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، قال العلماء: التخلية قبل التحلية؛ لأن الله قال: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ قبل أن يقول: ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾، فلا بد أن تخلص قلبك مما يناقض (لا إله إلا الله) ثم تدخل (لا إله إلا الله)، وفي حديث طارق بن أشيم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالَهُ وَدَمَهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»^(٢)، (يَا سَعِيدُ) أي: يا مسلم؛ لأن أهل الإسلام هم السعداء، وأهل الشرك هم الأشقياء.

(وَالْإِنْقِيَادُ شَرْطُهَا الْأَكِيدُ) فمن شروطها أيضًا: الانقياد؛ فإذا أمرك الله عز وجل بشيء أن تنقاد له وأن تستيقن وأن تطيع الله عز وجل، قال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

ثم قال (فَاخْذَرْ تَوَكُّلاً عَلَى الْمَقْبُورِ): هذا عبارة عن مثال يعني لأن المنظومة ما تتسع لأن تتكلم عما يتعلق بتفاصيل الألوهية وما يتعلق بتفاصيل الربوبية، وكذلك ما يتعلق بهذا الباب أشرنا إشارة تغني عن كثير من العبارة، فيقول: (فَاخْذَرْ تَوَكُّلاً عَلَى الْمَقْبُورِ)؛ لأن هذه العبادة يصرفها وعِبَادَ القبور إلى قبورهم،

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٩٩).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٣).

وَعِبَادَ الْأَصْنَامِ إِلَىٰ أَصْنَامِهِمْ، وَعِبَادَ الْأَحْجَارِ وَالْأَشْجَارِ إِلَىٰ أَحْجَارِهِمْ وَأَشْجَارِهِمْ، وَهُوَ الْاعْتِمَادُ، فَإِنْ فَلْتَكُنْ عَلَىٰ حَذَرٍ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ الْقُبُورِ وَأَصْحَابِ الْقُبُورِ وَلِيَكُنْ اعْتِمَادُكَ عَلَىٰ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وقال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، فالتوكل عبادة قلبية لا يجوز أن تصرف لغير الله عز وجل فهو الذي يجلب المنافع وهو الذي يدفع المضار، (فَإِنَّهُ شِرْكٌ) أي: التوكل على غير الله عز وجل والاعتماد عليه شرك، ولا يعني ذلك: أن تترك العمل بالأسباب، قال بعض العلماء: (الاعتماد على السبب شرك، وترك العمل قدح في الشريعة)، بل اعمل السبب وأنت معتمد على الله عز وجل، والذين ينكرون السبب مثل الصوفية يقولون: النبي صلى الله عليه وسلم يقول كما في حديث عمر عند الترمذي وغيره: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»^(١)، يُرَدُّ عَلَيْهِمْ: بأن الحديث فيه رد عليهم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر: أن الطيور تغدوا وتروح تعمل بالأسباب والله عز وجل هو الذي يرزقها، (وَعَنْ تَصْوِيرِ) أيضًا احذر التصوير، ذُكِرَ التصوير في هذا الموطن وإن كان ليس كل تصوير شرك ولا كفر إلا أن التصوير ينهى عنه لأمرين: الأمر الأول: أنه مضاهاة لخلق الله، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣٤٤) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

شَعِيرَةٌ^(١)، **الثاني**: سد لذريعة الشرك، فأول شرك وقع في الأمة كان سببه تصوير ذوات الأرواح كما في حديث ابن عباس عند البخاري: «.. **أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنْ انْصَبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوَهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أَوْلِيَاكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبُدَتَ**»^(٢).

(**أَسْمَاءُهُ الْحُسْنَى مَعَ الصِّفَاتِ**): يعني: القسم الثالث من أقسام التوحيد: إثبات أسماء الله الحسنى وهي الواردة في الكتاب والسنة مع الصفات مع أن كل اسم يتضمن صفة، وهكذا صفات الخيرية مثل: الوجه، واليدين، والصفات المعنوية مثل: العلم، والقوة، والصفات الفعلية مثل: الغضب، والرضا، والصفات المقابلة مثل: الكيد، والمكر، وسيأتي ذكر له، (**فَحَقَّقِ التَّوْحِيدَ فِي الْإِبْتِاتِ**) يعني: أثبت لله التوحيد وأحفظ محققاً له في جميع أموره: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

ثم قال (**أَوَّلُهَا**) أي: أول هذه الأقسام: (**التَّوْحِيدُ فِي الْأَفْعَالِ**) توحيد الله في أفعاله الخالق الرازق المالك المدبر يفرد بهذا الأمر، (**لِرَبِّنَا الْمَوْصُوفِ بِالْجَلَالِ**) بالعظمة الكبرياء.

(**ثَانِيهَا تَوْحِيدُ قَصْدٍ وَطَلَبٍ**) يعني: توحيد الألوهية من أسمائه توحيد

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٥٥٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٩٢٠).



القصد توحيد الطلب توحيد النية توحيد العبادة توحيد الألوهية إلى غير ذلك من الأسماء، **وَضِدُّهُ مَا فِيهِ قَتْلٌ** ضده الشرك والكفر فيه قتل؛ لأن الله أباح قتلهم، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾** [التوبة: ١٢٣]، وقال الله عز وجل: **﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾** [التوبة: ٢٩]، **(وَسَلَبٌ) السلب هو:** أخذ الغنيمة من المقتول وقولنا: **(قَصِدٌ)**؛ لأن العبد يقصد بالعباد الله **(وَطَلَبٌ)**؛ لأن الله طلب من العبد أن يفعل هذه الأفعال.

(ثَالِثُهَا فِي قِسْمَةِ الْأَثْبَاتِ ❀❀ يُعْرَفُ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ) الشرعي الوارد من الكتاب والسنة، أي: أن باب توحيد الأسماء والصفات باب توقيفي لا مجال للعقل فيه وإنما: **(يُؤْخَذُ فِيهِ بِالِدَلِيلِ وَكَفَى ❀❀ إِذْ أَنَّهُ غَيْبٌ فَدَعَّ عَنْكَ الْجَفَا)** لمذهب السلف الصالحين، وسيأتي تفصيل باب الأسماء والصفات بأكثر من هذا؛ لأن موضوع العقيدة يكون فيه التكلم عن الأسماء والصفات أكثر من الكلام عن توحيد الألوهية وتوحيد الألوهية، يُتَكَلَّمُ عنه بتفصيل في كتب التوحيد، والله المستعان.



الكلام في الأسماء والصفات

- والفرق بين الاسم والصفة: أن الاسم ما دل على الذات، والوصف والصفة ما دلت على وصف فقط، وأسماء الله عز وجل أعلام وأوصاف بخلاف أسماء غيره إلا ما كان من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وأسماء القرآن.

قال رحمه الله:

- | | | | |
|-----|---|---|--|
| ٢٩- | أَسْمَاؤُهُ حُسْنَى مِنَ الْقُرْآنِ | ❁ | وَوَحِيهِ فِي سُنتِ الْعَدْنَانِي |
| ٣٠- | وَعَدُّهَا بِالْحَصْرِ يَسْتَحِيلُ | ❁ | أَنْبَى إِلَى إِحَاطَةِ سَبِيلُ |
| ٣١- | وَأَنَّهُ الْمَوْصُوفُ بِالْإِثْبَاتِ | ❁ | وَالنَّفْيِ أَيْضًا يَا أَخَا الثَّبَاتِ |
| ٣٢- | تَنْبِي صِفَاتِ النَّقْصِ وَالْعُيُوبِ | ❁ | عَنْ عَالِمِ الْمَشْهُودِ وَالْعُيُوبِ |
| ٣٣- | وَاحْذَرْ أَخِي فِي حَالَةِ الْإِثْبَاتِ | ❁ | تَكْيِيفَهُ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ |
| ٣٤- | وَمِثْلُهُ التَّمْثِيلُ كُنْ عَلَى حَدَرٍ | ❁ | مَنْ مَثَلَ اللَّهُ بِخَلْقِهِ كَفَرُ |
| ٣٥- | لَيْسَ كَمِثْلِ رَبَّنَا شَيْءٌ وَلَا | ❁ | نَدْلَهُ وَلَا نَظِيرَ ذَا الْعُلَا |
| ٣٦- | وَاحْذَرْ مَعَ التَّنْزِيهِ مَحْظُورَيْنِ | ❁ | الْأُولَ التَّعْطِيلُ مِنْ ذِي الْمَيْنِ |
| ٣٧- | ثَانِيهِمَا التَّحْرِيْفُ لِلْأُدْلَةِ | ❁ | بِنَسِ الصَّنِيْعِ قُبِّحَتْ مِنْ فِعْلَةٍ |
| ٣٨- | وَاحْذَرْ مِنَ التَّفْوِيْضِ لِلْمَعَانِي | ❁ | فِعْلُ جَهْوَلٍ فَاسِدٍ وَجَانِي |

الشرح:

- هذه إشارة إلى بعض القواعد التي يذكرها أهل العلم في هذا الباب، وإلا



فإن القواعد كثيرة قد يتعذر حصرها في مجلس أو في مجالس؛ ولهذا ألف الشيخ العثيمين رحمه الله كتابه "القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته العلى"، وهكذا يسر الله لي بـ"القواعد الحسان في أسماء وصفات الرحمن" زدت على ما سطره كثيرًا من القواعد، وممن تكلم في هذا الباب ابن القيم رحمه الله في كتابه "بدائع الفوائد"، وهكذا تكلم البريكان في "القواعد الكلية" وهناك كتب كثيرة بين مختصرة والمطولة تتكلم على القواعد في هذا الباب.

وأصل هذه القواعد قد يؤخذ مما سطره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "التمهيدية" وهكذا في "الحموية" وفي كثير من الكتب، إنما جمع في بعضها والاهتمام بدراسة القواعد يعني مهم جدًا؛ لأن دراسة الأسماء والصفات على التفصيل قد لا يستطيعه الإنسان؛ لكثرة أسماء الله ولكثرة صفات الله عز وجل بينما دراسة القواعد التي بها تتوصل إلى فهم الاسم وما يدل عليه وما يتضمن وما يلزم منه، وهكذا دراسة الصفة وما تدل عليه وما يتضمن وما يلزم منها ودراسة الرد على أهل البدع بقواعد تفصيلية أو بقواعد إجمالية هذا يفيد الطالب جدًا في حياته العلمية والعملية، وأهل العلم حين يتكلمون في هذا الباب يقسمون باب القواعد إلى أقسام:

الأول: قواعد في الأسماء.

والثاني: قواعد في الصفات.

والثالث: قواعد في الأدلة في الأدلة التي يستدل بها؛ لإثبات الأسماء

والصفات، وربما جعلوا بابًا يتكلم عن باب الأسماء والصفات إجمالًا من حيث فضله ومنزلته وثبوته؛ لأن بعضهم لا يثبت الصفة مطلقًا مع أن في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: **أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سِرِّيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلِّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «سَلُّوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟»، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِإِنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ مُجِيبٌ»^(١)، وهكذا الأسماء، فيحتاج الإنسان إلى أن يستوعب هذا الباب، إلا أن هذه المنظومة لم توضع لهذا كله؛ ولهذا أشرنا إشارات إلى المهمات.**

فقال: **(أَسْمَاؤُهُ حُسْنَى مِنَ الْقُرْآنِ)** أي: أن الأسماء الحسنَى إنما تأخذ من كلام ربنا سبحانه وتعالى فهو أعلم بنفسه وأعلم بغيره، وباب الأسماء والصفات توقيفي إذ لا مجال للعقل فيه، وأيضًا **(وَوَحْيِهِ فِي سُنَّةِ الْعَدْنَانِي)** أيضًا الأسماء والصفات تؤخذ من السنة الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم سواء كانت هذه السنة من الأحاد أو من المتواتر؛ لأن أهل البدع يردون كثيرًا من الصفات بدعوى أنها من الأحاد، والصحيح عند أهل السنة: أن ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وثبت أفاد العلم سواء كان من الأحاد أو من المتواتر.

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٣٧٥)، ومسلم برقم: ٢٦٣- (٨١٣).

(وَعَدَّهَا بِالْحَصْرِ يَسْتَحِيلُ) يعني: حصر أسماء الله وصفاته في عدد معلوم لنا يستحيل؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فأطلقها، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول كما في حديث عائشة: «لَا أُحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ»^(١)، ويقول صلى الله عليه وسلم في حديث أنس وغيره: «ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ حَمِيدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي»^(٢)، وفي حديث ابن مسعود عند الحاكم وغيره: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»^(٣)، أي: الحديث الشاهد: أن من أسماء الله عز وجل ما لم نطلع عليه وهو الكثير، (أَتَىٰ إِلَىٰ إِحَاطَةٍ سَبِيلٌ) يعني: كيف تحيط بها وكثير منها في علم الغيب هذا شيء مستحيل، وقد ذهب بعضهم: إلى حصرها بتسعة وتسعين كابن حزم، وابن كجب ظاهر كلامه، ومن المتأخرين بعض المتشعبين، ورددنا عليهم بكتاب "التيبين لخطأ من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين".

(وَأَنَّهُ الْمَوْصُوفُ بِالْإِثْبَاتِ) قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، هذا إثبات، (وَالنَّفْيُ أَيْضًا يَا أَحَا الثَّبَاتِ) قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٢٢- (٤٨٦).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٣٢٧- (١٩٤).

(٣) أخرجه أحمد حديث رقم: (٣٧١٢).

وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، هذا نفي، فالله عز وجل موصوف بالنفي والإثبات، لماذا جمع الله عز وجل في وصفه بين النفي والإثبات؟ **الجواب:** هذي مسألة مهمة النفي وحده عدم النفي عدم لَمَّا تقول: ليس بموجود، ليس بحي، ليس بعالم النبي وحده عدم والإثبات بدون نفي لا يمنع المشاركة أن تقول: الله إله، والبوذي سيقول: بوذا إله، والهندوسي سيقول: البقرة إله، والنصراني سيقول: عيسى إله، أو حين تقول: الله له وجه سيقول مثل وجه كوجهنا! سمع كسمعنا!، فإذا لا بد من الجمع بين النفي والإثبات، فالنفي: عدم، والإثبات وحده لا يمنع المشاركة، لكن الجمع بين النفي والإثبات إثبات ما أثبتته الله لنفسه مع تنزيهه عن مماثلة مخلوقاته أو التكييف له سبحانه وتعالى.

- **والأصل في هذا الباب:** الإثبات التفصيل في الإثبات، هكذا العبارة الأخيرة هي التي تقيد الأصل في هذا الباب التفصيل في الإثبات تقول: (الله الرحمن الرحيم الملك القدوس السميع العليم القوي القدير) وهكذا، والإجمال في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقال: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، إلى غير ذلك مما يذكر في هذا الموطن لماذا؟ لأن العرب إذا مدحت تمدح بالتفصيل في الإثبات وتمدح بالإجمال في النهي، وإنما يؤتى بالتفصيل في النفي لأمرين، فإذا تأملت القرآن وتأملت السنة تجد أن: التفصيل في النفي جاء به لأمرين: **الأمر الأول:** دفع ما دعاه في حقه

المبطلون حين يقولون: (لله ولد، لله صاحبة، ويد الله مغلوله) يرد الله عز وجل عليهم ذلك، **الثاني**: دفع توهم نقص، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]، لما يظن الظان الذي ما يقدر الله قدره بأنه خلقها في ستة أيام ليرتاح يوم السابع كما يقول اليهود، ختمها الله بقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾، والصفة المنفية قد اثبت بها عدة صفات ثبوتية، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر:٤٤]، لماذا لا يعجز؟ ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤]، فقد يكون الإنسان عالمًا لا قديرًا، وقد يكون قادرًا لا عليم فلا يستطيع أن يأتي بشيء، إما الله عز وجل لا يعجز؛ لكمال علمه، ولكمال قدرته، وأما الإجمال في النفي فيؤتى به؛ لبيان عموم كماله: ليس كمثل شيء؛ لبيان عموم كماله في ذاته في صفاته في أسمائه في أفعاله في جميع شأنه تعالى.

(**تَنْبِيهِ صِفَاتِ النَّقْصِ وَالْعُيُوبِ** ❀ ❀ **عَنْ عَالِمِ الْمَشْهُودِ وَالْغُيُوبِ**) ركز معي: الصفات تنقسم إلى ثلاثة أقسام: **الأول**: صفات كمال لا نقص فيها مطلقًا، **الثاني**: صفات نقص لا كمال فيها مطلقًا، **الثالث**: صفات كمال من وجه، ونقص من وجه، كيف الآن نتعامل مع هذه الصفات؟ **الجواب**: ما كان كمال من كل وجه نثبته لله كما يليق بجلاله، وما كان نقص من كل وجه ننفيه عن الله عز وجل مع إثبات كما ضده، وما كان من وجه وكمال من وجه نثبته في حال كماله وننفيه في حال نقصه، والأمثلة على ذلك: العلم، والقدرة، والقوة، والقهر،

والغلبة، والعلو، والكلام وغير ذلك، هذه صفات كمال مطلق فتثبت لله عز وجل أزلاً وأبداً، وأما الصمم، والبكم، والنوم، والسِنَّة، والموت هذه صفات نقص مطلقاً فتنفى عن الله عز وجل، وأما المكر، والكيد، والمخادعة، والسخرية هذه تثبت لله عز وجل في حال كمالها.

- الآن يقول لك القائل: تنفي صفات النقص والعيوب معناه: تثبت صفات الكمال لله عز وجل عن عالم مشهود يعني: الشيء المنظور، والغيوب الشيء الغائب فهو عالم بكل شيء علام الغيوب، واحذر أخي في حالة الإثبات تكييفه في الذات والصفات يعني لما تثبت لله عز وجل الأسماء والصفات احذر من أمرين:

الأمر الأول: التكييف؛ لأن التكييف قول على الله بغير علم والمكيف لا يستطيع أن يكيف إلا إذا رؤيا والله عز وجل لم يرى ولم يرى مثيله ولم يخبرنا من رآه عنه كلها منفية، فلا نستطيع أن نكيف صفات الله عز وجل.

الأمر الثاني: تمثيل صفات الله عز وجل بصفات مخلوقاته فعند الإثبات كن على حذر من ماذا يا إخوة عند الإثبات كن على حذر من التكييف والتمثيل وعند النفي والتنزيه كن على حذر من التعطيل والتحريف كن على حذر من هذين أربعة أشياء.

(وَاحْذَرُ أَخِي فِي حَالَةِ الْإِثْبَاتِ) إثبات أن الله سميع بصير قوي قدير ينزل يبصر يغضب يرضى يسخط، (تَكْيِيفُهُ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ) مثل قول بعضهم: الله

سبع أشبار بشر نفسه أو مثلاً يقول: غضب الله كغضب الإنسان؛ لا، هذا تمثيل فهو تكييف في الواقع كل تمثيل تكييف ولا عكس كل تمثيل تكييف لأنه قيده بمماثل وكيفه لكن ليس كل تكييف تمثيل ليس كل تكييف تمثيل.

(وَمِثْلُهُ التَّمْثِيلُ كُنْ عَلَى حَدَرٍ * * * مَن مَثَلَ اللَّهُ بِخَلْقِهِ كَفَرَ) من قال: (يد الله

كيد زيد أو كيد عمرو، غضب الله كغضب الأنسان) كفر، وهذا القول الذي نقلناه، وقول نعيم بن حماد شيخ البخاري، وقد تناقل العلماء قوله وأجمعوا عليه من مثل الله بخلقه كفر ومن عطل الله من صفاته كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم تكييف ولا تمثيل ثم.

(لَيْسَ كَمِثْلِ رَبِّنَا شَيْءٌ وَلَا * * * نِدَّ لَهُ وَلَا نَظِيرَ ذَا الْعُلَا) قال تعالى: ﴿لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. هذه الآية عمدة في باب الأسماء والصفات، ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ردُّ على الممثلة والمكيفة، وقوله:

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ردُّ على المعطلة والمفوضة، فهذه الآية عمدة في باب

الأسماء والصفات الممثلة أخذوا قول الله عز وجل وهو السميع البصير ومثلوا

ولم يتبها إلى قول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، والمعطلة أخذوا

بقول الله أخذوا بقول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ولم يتبها إلى

الإثبات فعطلوا، أما أهل السنة فجمعوا لله عز وجل بين النفي والإثبات،

وأخذوا بالآية من جميع شقيها ولا ند له، إن ند النظر والمثيل ولا نظير من

باب إضافة الشيء إلى أو عطف الشيء على مثله ذا العُلا المطلق على عباده

على عرشه، والعلا في صفاته، والعلا في قدره.

لمَّا تكلم عما تحذره في حال الإثبات وهو التمثيل والتكييف قال (وَاحْذَرْ
مَعَ التَّنْزِيهِ مَحْظُورَيْنِ) أيضًا كن على حذر؛ لأن هذا قد ينطلي على كثير ممن لم
يقدر الله حق قدره، (الأول التَّعْطِيلُ) التَّعْطِيلُ فِي اللُّغَةِ: التَّفْرِيعُ، وَفِي
الاصطلاح: تعطيل الله عز وجل من معاني أسمائه وصفاته، (من ذي المَينِ) سبيل
الكاذبين والمحرفين والمغيرين.

(ثَانِيَهُمَا التَّحْرِيفُ لِلْأَدِلَّةِ) والتحريف قد يكون في اللفظ وقد يكون في
المعنى، وقد يكون بهما جميعًا كتحريف (استوى) بمعنى (استولى)، و(اليد)
بمعنى (القوة)، (بِشَسِّ الصَّنِيعِ قُبِّحَتْ مِنْ فِعْلَةٍ) قال بها قوم من الجهمية
والمعتزلة ومن إليهم.

(وَاحْذَرْ مِنَ التَّفْوِيضِ) التفويض يعني: شر أهل البدع كما قال شيخ
الإسلام ابن تيمية، وتفهمون هذا بالعودة إلى أقسام الناس في الأسماء
والصفات.

- الناس ينقسمون في باب الأسماء والصفات إلى أقسام القسم:

الأول: (أهل السنة والجماعة) الذين يثبتون ما أثبتته الله لنفسه، وما أثبتته له
الرسول صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل
بل هو سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

القسم الثاني: (الممثلة) الذين قالوا: نحن لا نعرف من معاني الأسماء إلا

ما نشاهد، فالسميع يعني كالإنسان أو كذلك يد الله كيدي، وسمع الله كسمعي، وبصر الله كبصري؛ لأننا ما نعرف إلا الممثلة.

الثالث: (المعطلة) الذين عطلوا الله عز وجل من أسمائه وصفاته أو من أحدهما وينقسمون إلى قسمين:

١- أصحاب تعطيل كلي، وأصحاب التعطيل الكلي هم الجهمية الذين عطلوا الله من الأسماء والصفات.

٢- وأصحاب تعطيل جزئي، وهم المعتزلة والأشاعرة، فالمعتزلة عطلوا الله عز وجل من صفاته، وأثبت الأسماء، والأشاعرة عطلوا الله عز وجل من بعض صفاته وأثبتوا البعض مع الأسماء.

ثم المفوضة الذين زعموا: أن آيات الصفات لا معاني لها إلا كما تفهم من معنى قول الله عز وجل (كاف هاء ياء عين صاد) أو كما تفهم من قول الله عز وجل من قول الناس: (ألف باء تاء ثاء جيم حاء) إلى غير ذلك، واختلفوا إلى قسمين:

الأول: بعضهم قال: لها معاني لا نعلمها.

الثاني: وبعضهم قال: لها ليس لها معنى وهذا من اضطرابهم؛ ولذلك قال

هنا: **(وَاحْذَرْ مِنَ التَّفْوِيضِ لِلْمَعَانِي)** معاني الأسماء والصفات، **(فِعْلٌ جَهُولٌ**

فَاسِدٌ وَجَانِي) جنى على منهج السلف؛ لأنهم يزعمون أن السلف كانوا مفوضة،

فلما نظرت إلى كلام النووي كثيرا تجد أنه ينسب هذا المذهب إلى السلف

الصالح يزعمون أن السلف كانوا مفوضة والسلف من أبعد الناس عن التفويض.

يعني: هذه مقدمة مختصرة وقواعد مهمة في هذا الباب، لا يسع الطالب أن يكون جاهلاً لها، وسيأتي تفصيل لبعض الصفات المهمة التي خالف فيها أهل البدعة.

قال رحمه الله:

- | | | | |
|---|---|---|--|
| ❦ | ٣٩- لَهُ الْعُلُوُّ مُطْلَقًا فِي ذَاتِهِ | ❦ | وَقَهْرِهِ وَالْقَدْرُ فِي صِفَاتِهِ |
| ❦ | ٤٠- وَالْعَرْشُ مَخْلُوقٌ عَظِيمُ الشَّانِ | ❦ | سَقْفٌ عَلَى الْفِرْدَوْسِ مِنْ جِنَانِ |
| ❦ | ٤١- قَدْ اسْتَوَى مَعْبُودُنَا الرَّحْمَنُ | ❦ | عَلَيْهِ فَاَعْلَمُ إِنَّهُ الْمَنَّانُ |
| ❦ | ٤٢- ثُمَّ الْكَلَامُ وَصَفُهُ تَعَالَى | ❦ | إِذْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ قَالَ |
| ❦ | ٤٣- فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ نَادَى مُوسَى | ❦ | وَهَكَذَا قَدْ قَالَ أَنْ يَا عِيسَى |
| ❦ | ٤٤- كِتَابُ رَبَّنَا كَلَامُ اللَّهِ | ❦ | وَلَيْسَ مَخْلُوقًا بِهِذَا بَاهِي |
| ❦ | ٤٥- مُعْطًى كَالْجَهْمِيِّ وَالْمُعْتَرِي | ❦ | وَالْأَشْعَرِيِّ خَالَفُوا النَّصَّ الْجَلِي |
| ❦ | ٤٦- وَاحْذَرْ هُدَيْتَ قَوْلَ ذَلِكَ | ❦ | كَلَامُ نَفْسٍ بِئْسَ قَوْلُ الْمُفْتَرِي |
| ❦ | ٤٧- وَالْوَجْهُ مِنْهُ دُو جَلَالٍ وَكَرَمٍ | ❦ | إِذْ إِنَّهُ مَعْبُودُنَا مُعْطَى النِّعَمِ |
| ❦ | ٤٨- وَيَبْسُطُ النَّعِيمَ بِالْيَدَيْنِ | ❦ | نَصَّ مِنَ الرَّحْمَنِ دُونَ مَيْنِ |

الشرح:

- لَمَّا ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْضَ قَوَاعِدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ نَاسِبًا أَنْ يُمَثِّلَ عَلَى أَنْوَاعِ الصِّفَاتِ الَّتِي يَثْبِتُهَا أَهْلُ السَّنَةِ وَيُخَالِفُ فِيهَا أَهْلَ الْبِدْعَةِ،



والصفات تنقسم إلى صفات:

١- صفات ذاتية.

٢- صفات فعلية.

والصفات الذاتية تنقسم إلى:

أ- صفات معنوية.

ب- وصفات خبرية .

وهكذا ذكر ما يتعلق بالصفات المقابلة، فالصفات الذاتية المعنوية مثل: العلم، والقوة، والقدرة، والصفات الذاتية الخبرية مثل: الوجه، واليدين، والقدم، ونحو ذلك.

والصفات الفعلية مثل: الاستواء، والغضب، والرحمة، والرضا، وصفات المقابلة: الكيد، والمكر ونحو ذلك.

- فقال رحمه الله: **(لَهُ الْعُلُوُّ)** أي: الله عز وجل العلو **(مُطْلَقًا فِي ذَاتِهِ)** علو الذات أنه على العرش، **(وَقَهْرِهِ)** علو القهر أنه قاهر لعبادة **(وَالْقَدْرِ فِي صِفَاتِهِ)** أن قدره أعلى من جميع الموجودات، ولماذا ذكر المصنف هذه الثلاثة الأنواع من العلو؟ لأن المبتدعة يثبتون علو القدر وعلو القهر وينفون علو الذات، فإذا تأملت أقوالهم تجد أنهم يفسرون قول الله عز وجل: **﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾** [البقرة: ٢٥٥]، أي: علي بقدره وقهره، وقال: **﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾** [الأعلى: ١]، أي: الأعلى بقدره وقهره، لكن أهل السنة والجماعة يثبتون لله علو الذات وعلو

الصفات وعلو القهر والذي يهمننا في هذه العقيدة الكلام على علو الذات وأدلتها كثيرة منها أدلة الفوقية، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، ومنها أدلة العلو، قال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الشورى: ٤]، ومنها أدلة العندية؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»^(١)، ومنها أدلة النزول، فالإنزال من عنده؛ لأن الإنزال يكون من أعلى إلى أدنى، وأدلة العروج؛ لأن العروج يكون من أدنى إلى أعلى، وهكذا أدلة الصعود: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، والتصريح بأنه في السماء: ﴿أَآمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أَلَا تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَا تَيْبِي خَبِرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً»^(٢)، وأيضًا الإشارة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشير إلى العلو ويقول: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»^(٣)، في أدلة غير هذه.

وقد ذكر ابن القيم: أن أدلة العلو أكثر من ألف دليل أي: من الآيات والأحاديث والآثار المروية في هذا الباب، وأيضًا أدلة الاستواء تدل على العلو فإن الاستواء بمعنى الارتفاع والصعود، وهكذا العلو وأدلة الرؤية تدل على

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٥٥٤)، ومسلم برقم: ١٤- (٢٧٥١) واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٣٥١)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٤٩٩٠) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

العلو؛ لأن الله يرى يوم القيامة في العلو؛ فعن أبي هريرة، قال: قالوا: يا رسول الله، أنرى ربنا عز وجل يوم القيامة؟ قال: «هل ترون الشمس ينصف النهار ليس في السماء سحابة؟» قالوا: نعم، قال: «هل ترون القمر ليلة البدر ليس في السماء سحابة؟» قالوا: نعم، قال: «فوالذي نفسي بيده، لترون الله عز وجل، ولأن تَصَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، كَمَا لَا تُصَارُونَ فِي رُؤْيَيْهَا»^(١)، وكل دليل من هذه الأدلة التي أشرنا إليها تدخل تحتها أدلة كثيرة.

(وَالْعَرْشُ مَخْلُوقٌ عَظِيمٌ الشَّانِ) هذا ليس موطن ذكر العرش؛ لأن العرش من المغيبات وهي من باب العقيدة، لكن لما ذكر المصنف ما يتعلق بالعلو وكان العرش أعلى المخلوقات واستوى الله سبحانه وتعالى عليه وعلى عليه ناسب أن يذكر ما يتعلق من شأنه، فقال: (وَالْعَرْشُ مَخْلُوقٌ عَظِيمٌ الشَّانِ) لأن المبتدعة يقولون: العرش المُلْك، وبعضهم يفسر العرش بالعلم، والصحيح: أنه أكبر المخلوقات، وأول المخلوقات، وأعظم المخلوقات، وأعلى المخلوقات، وهو عرش عظيم واسع؛ قال سبحانه: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥]، قراءة الكسر يعني: (الواسع) وسماه الله عز وجل العرش الكريم، يحمله أربعة أملاك من الملائكة الكروبيين، وهم من أشداء الملائكة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أُذِنَ لِي أَنْ أَحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٩٠٥٨)، وجاء عند ابن ماجه من حديث أبي سعيد برقم: (١٧٩).

شَحْمَةَ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةً سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ^(١)، وجاء بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِي أَنْ أَحَدَّثَ عَنْ دِيكَ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَعُنُقُهُ مُتَّيْنٌ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ: لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا^(٢)»، وقد أشار إلى ذلك أمية بن أبي الصلت، وأقرَّ النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ عليه الشعر:

رَجُلٌ وَثُورٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ ❦❦ وَالتَّسْرُ لِلْأُخْرَى وَلَيْتَ مُرْصَدُ

يعني: ملك على رجل، وملك على صورة صقر، وملك على صورة ليث - أسد-، وهكذا على صورة ثور، وأما في الآخرة يحمله ثمانية، قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً﴾ [الحاقة: ١٧]، فقال بعضهم: بأنه يحمله ثمانية في كل حين، لكن ظاهر الآية: على أن الثمانية يوم القيامة.

﴿سَقَفٌ عَلَى الْفِرْدَوْسِ مِنْ جَنَّاتٍ﴾ بنص حديث النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ﴾^(٣).

﴿قَدْ اسْتَوَى مَعْبُودُنَا الرَّحْمَنُ ❦❦ عَلَيْهِ فَاعْلَمْ إِنَّهُ الْمَنَّانُ﴾ قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]،

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٧٢٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) "صحيح الجامع" حديث رقم: (١٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٧٩٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.



والاستواء هو: العلو والصعود والارتفاع، **فزاد بعضهم:** الاستقرار، وذكرنا اسم الرحمن؛ لأن القرآن جاء به، فاعلم هذه العقيدة، واعلم بأن الله المنان للعطاء الواسع.

(ثُمَّ الْكَلَامُ وَصِفَةُ تَعَالَى) من الأدلة أيضًا على إثبات على صفات الله عز وجل: إثبات صفة الكلام، وهي من الصفات الذاتية الفعلية، ذاتية من حيث نوعها؛ فإن الله متكلم أزلاً وأبدًا، وفعلية من حيث أحادها، فإن الله تكلم مع موسى متى شاء، ومع آدم متى شاء، ومع الملائكة متى شاء، ولا بد في اعتقاد صفة الكلام: إثبات اللفظ والصوت؛ لأن الله عز وجل يتكلم بصوت يسمع سمعه منه جبريل، وسمعه منه موسى، وسمعه منه أهل الجنة، وسمعه منه الملائكة إذا أوحى الله، فإذا قضى الله بالوحي سمع الملائكة كالصوت السلسلة على صفوان، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]، والكلام والعلو صفتي كمال، ومعطي الكمال أولى به، ثم الكلام وصفه تعالى: **(إِذْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ قَالَ)** المبتدعة أولوا الاستواء بمعنى الاستيلاء، وهذا قول باطل؛ فإنه لو أثبتنا الاستيلاء لزم أن يكون العرش تحت آخر حتى غلبه الله عز وجل وأخذه عليه، وإذا لم تثبت العلو لله أثبتنا له السفلى والسفلى صفة نقص، فإن لم يكن الله على السماء فهو في السفلى تعالى الله عن ذلك، وأما الجهمية فيقولون: لا فوق ولا تحت ولا داخل ولا خارج ولا متصل ولا منفصل ولا شيء من ذلك انعدم.

(في مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ) أي: في القرآن المحكم البيّن الذي لم ينسخ؛ لأن باب الصفات لا يدخلها النسخ إنما يدخل النسخ في باب الأخبار يعني: قد يقول الله عز وجل في باب الأخبار: افعلوا كذا، وفي باب الأوامر: افعلوا كذا، ثم يقول: لا تفعلوا يدخله النسخ، أما باب الأخبار ما يدخل النسخ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥]، لا يمكن أن ينسخ هذا القول؛ لأن هذا خبر، والله عز وجل أصدق قيلاً وأحسن حديثاً، (نَادَى مُوسَى) كما قال الله عز وجل: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم:٥٢]، والنداء يكون بصوت مرتفع كما أن المناجاة تكون بصوت خافت (وَهَكَذَا قَدْ قَالَ أَنْ يَا عِيسَى) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة:١١٦]، وقوله: (نادى، وناجى، وقال) دليل على أنه تكلم بحرف وصوت. ولمّا انتهى من ذكر ما يتعلق بوصف الله عز وجل بالكلام ناسب أن يتكلم

عن القرآن لأن إثبات الكلام يكون على وجهين:

الوجه الأول: أن الله متكلم أزلاً وأبداً.

الثاني: أن الله تكلم بالقرآن، قال الله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف:١٤٣]، المبتدعة يزعمون: أن الله كلم موسى بمعنى جرّحه بأظافر الحكمة، وهذا تفسير باطل؛ فإن الله يقول: ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾، بعض أهل البدع جاء إلى أبي عمرو بن العلاء وقال: اقرأ: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) فيكون موسى

فاعل مؤخر، قال له أبو عمرو ابن العلاء: إذا قرأت لك (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) ماذا تقول في قول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ فإن الضمير يعود إلى أقرب مذكور، قال الناظم: (كِتَابُ رَبَّنَا كَلَامُ اللَّهِ) قال الله عز وجل: ﴿فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، قال الله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنْ قَرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»^(١)، (وَلَيْسَ مَخْلُوقًا بِهَذَا بَاهِي) لا بد أن تزيد هذا اللفظ، الأصل أننا نقول: كلام الله، سمع الله، بصر الله، لكن لما قال المبتدعة: القرآن كلام الله زاده مخلوق، احتاج أهل السنة أن يقولوا: كلام الله ليس بمخلوق؛ حتى لا يأتيك مبتدع ويقول لك: أنت خالفت يعني: منهج السلف، لماذا ما تقول كلام الله؟ ويكفي لا تزيد غير مخلوق؛ لأن المبتدعة قد يقولون: كلام الله ويسكت ويريد به مخلوق، فالقول في ناقة الله، وبيت الله، وعبد الله، ناقة الله مخلوقة، وبيت الله مخلوق، وعبد الله مخلوق، فهم يريدون أن يكون القرآن كلام الله على أنه مخلوق! فنحن نقول: كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، نقل سفيان عن مشايخه منهم عمرو بن دينار: أنه لقي سبعين من مشايخه كلهم يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.

وكفر العلماء من زعم أن القرآن مخلوق، قال ابن القيم:

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٥١٩٢) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كَفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ
وَاللَّالِكَائِي الْأَمَامِ حَكَاةً عَنْ هَمِّ بَلِّ حَكَاةً قَبْلَهُ الطَّبْرَانِيِّ ❦❦

(وَلَيْسَ مَخْلُوقًا بِهَذَا بَاهِي) لأنهم إذا قالوا: بأن القرآن مخلوق واثبتوا هذا القول لزم أن تكون صفات الله وأسماء الله عز وجل مخلوقة، وأنت حين تقول: يا رحمن كأنك تدعو المخلوق: يا الله كأنك تدعو لمخلوق إذا كان القرآن مخلوق، فلذلك رد أهل السنة هذه البدعة الشنيعة بهذا باهي أي أظهر النصر والتميز والافتخار على من يأتي بيانه من المخالفين في هذا الباب.

(مُعْطَلًا) المعطلة الذين يقولون بأن الله لم يتكلم أو أن الله تكلم في الأزل لم يتكلم بحرف وصوت عقيدة أهل السنة أن الله متكلم بحرف وصوت متى شاء وكيف شاء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، (كَالْجَهْمِيِّ) الجهمي أتباع جهم بن صفوان الذين يزعمون أن أسماء الله وصفاته مخلوقة وأن القرآن مخلوق ليس بكلامه، (وَالْمُعْتَرِي) المعتزلة أصحاب عمرو بن عبيد بن باب وواصل بن عطاء الغزال وكذلك يزعمون أن القرآن مخلوق، (وَالْأَشْعَرِي) أيضًا الأشعري ذهب إلى أن كلام الله نفساني كلام الله في نفسه وإنما عبر جبريل عما في كلام الله أو عبر محمد صلى الله عليه وسلم عما في نفس الله، وهذا يقتضي منه اعتقادًا فاسدًا وذلك أنه إذا كان جبريل قد علم ما في نفس الله أو محمد صلى الله عليه وسلم علم ما في نفس الله كأنهم علموا علم الله والله عز وجل يقول عن عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾

[المائدة: ١١٦]، فالقرآن تكلم الله به حقيقة سمعه منه جبريل وجبريل بلغ محمد صلى الله عليه وسلم والقول بان القرآن كلام نفسي قول مخالف للأدلة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَنْطِقْ بِهِ لِسَانَ أَوْ تَعْمَلَهُ يَدٌ»**^(١)، ففرق بين حديث النفس وبين الكلام، **(وَالْأَشْعَرِيُّ خَالَفُوا النَّصَّ الْجَلِيَّ)** النصوص الدالة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

(وَاحْدَزَ هُدَيْتَ قَوْلَ ذَلِكَ الْأَشْعَرِيِّ) نسبة إلى أبي الحسن الأشعري وكانت له أطوار ثلاثة: الأولى: كان معتزلياً على دين زوج أمه أبي علي الجبائي هل تأثر به في الاعتزال، ثم تاب إلى مذهب ابن كلاب، ثم تاب إلى منهج السلف، **(كَلَامٌ نَفْسٍ بِنَسِّ قَوْلِ الْمُفْتَرِيِّ)** الكذاب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم الذي يقول بأن القرآن كلام نفسي بل هو تكلم الله به حقيقة وسمع منه حقيقة.

(وَالْوَجْهَ مِنْهُ ذُو جَلَالٍ وَكَرَمٍ) وأيضا من صفات الله عز وجل الوجه وهو من الصفات الذاتية الخبرية ذو جلال وكرم: **«وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»** [الرحمن: ٢٧]، **«كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ»** [القصص: ٨٨]، النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: **«أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»**^(٢)، فلو كان الوجه مخلوقاً ما جاز الاستعاذة بمخلوق، **(إِذْ إِنَّهُ مَعْبُودُنَا مُعْطِي النِّعَمِ)** يعني: أن الله عز وجل معبودنا

(١) "مشكل الآثار" حديث رقم: (١٦٣١).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٦٢٨) عن جابر بن عبد الله.

نعبده ونتقرب إليه وهو معطي النعم ومسديها وموصلها إلى عباده، فقد ذهب المبتدعة إلى أن الوجه هو الذات، هذا قول باطل فبعضهم قال: الوجه الثواب، وهذا قول أبطل فالوجه صفة من صفات الذات، والثواب مخلوق والنبي صلى الله عليه وسلم ما كان له أن يستعيذ بمخلوق فما بقي إلا أن نثبت لله صفة الوجه وهو وجه حقيقي يليق بجلاله حجاب النور لو كشفه لا أحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

(وَيَبْسُطُ النِّعِيمَ بِالْيَدَيْنِ) أيضًا من صفات الله عز وجل أنه متصل بيديه الحقيقيتين تليق بجلاله، قال سبحانه وتعالى: **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾** [المائدة: ٦٤]، فأنكر الله عليهم وصفه بالغل وأثبت لنفسه يدين حقيقيتين مبسوطتين بالخير، وقال صلى الله عليه وسلم: **﴿إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا﴾**^(١)، وقد قال الله عز وجل: **﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾** [ص: ٧٥]، وهكذا قال الله عز وجل: **﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾** [الملك: ١]، واليد إذا أفردت أفادت العموم، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: **﴿وَكَلَّمْنَا يَدَيَّ رَبِّي يَمِينًا﴾**^(٢)، والله عز وجل يقول: **﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا**

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٣١- (٢٧٥٩) عن أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٣٦٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴿ [الزمر: ٦٧]، زعم المبتدعة: أن اليد هي القدرة أو القوة أو النعمة، وَرُدَّ عَلَيْهِمْ: بأن نعم الله كثيرة ليست بنعمتين، وقوة الله واحدة ليست بقوتين، وقدرة الله واحدة ليست بقدرتين، فما بقي إلا وصف الله باليد، وقد تنوعت الأدلة على إثبات هذه الصفة: الهز، والقبض، والبسط، والأصابع، والساعد، والكف، كلها جاءت بها الأدلة فهذا يمنع المجاز في أن اليد المراد بها القوة والقدرة، (نَصٌّ مِنَ الرَّحْمَنِ دُونَ مَعْنَى) أي: جاءت نصوص كثيرة.

ثم قال:

- | | | |
|-----|---|---|
| ٤٩- | وَيَغْضَبُ اللَّهُ عَلَى الْفُجَّارِ ❁ | أَمَّا الرَّضَا يَخُصُّ بِالْأَبْرَارِ ❁ |
| ٥٠- | يَكِيدُ رَبُّنَا بِكُلِّ كَائِدٍ ❁ | وَمَا كَرُّ بِكَافِرٍ مُعَانِدٍ ❁ |
| ٥١- | وَوَصَفُ رَبَّنَا عَلَى التَّفْصِيلِ ❁ | فِي حَالِ إِثْبَاتِ فَخْذٍ مِنْ قَيْلِي ❁ |
| ٥٢- | وَهَكَذَا الْإِجْمَالُ حَالِ النَّفْيِ ❁ | يَا رَبِّ جَنَّبْنَا سَبِيلَ الْغَيِّ ❁ |
| ٥٣- | سُبْحَانَ رَبِّي فِي الْعُلَى سُبْحَانَهُ ❁ | أَحْمَدُهُ حَمْدًا يُوَافِي شَأْنَهُ ❁ |
| ٥٤- | هَذِي إِشَارَاتٌ إِلَى الْمَطْلُوبِ ❁ | تُغْنِي عَنِ التَّطْوِيلِ لِلْبَيْبِ ❁ |

الشرح:

- يقول الناظم بعد أن ذكر شيئاً من الصفات المعنوية الذاتية والصفات الخبرية الذاتية: (وَيَغْضَبُ اللَّهُ عَلَى الْفُجَّارِ) وهذا مثال للصفات الفعلية، والأشاعرة ومن إليهم ينكرون هذا النوع من الصفات ويزعمون: أن إثبات هذه

الصفات تمثيل لله عز وجل وهذا من جهلهم وطيشهم وخروجهم عن جادة السلف فإن الله عز وجل قد أخبر أنه يغضب في مواطن من كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم والغضب يليق بالله عز وجل كما جاء في حديث الشفاعة: «.. **إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**»^(١)، وقال الله عز وجل: «**وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**» [الفتح:٦]، وقال تعالى: «**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**» [الفاتحة:٧]، وقال تعالى: «**فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ**» [الزخرف:٥٥]، وهذه من أصلح الأدلة على أن الغضب غير الانتقام؛ لأن المبتدعة يفسرون الغضب بالانتقام يقولون: غضب الله انتقم الله أو إرادة الانتقام لكن هنا يقول الله عز وجل: «**فَلَمَّا آسَفُونَا**» [الزخرف:٥٥]، أي: أغضبونا؛ لأن الأسف هو الغضب الشديد انتقمنا منهم ومن باب الفائدة للأسف يأتي على معنيين الأول الغضب وهو الثابت لله عز وجل على ما يليق بجلاله، الثاني: الحزن والله عز وجل منزه عن ذلك، قال الله عز وجل مخبراً عن يعقوب: «**وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَٰ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**» [يوسف:٨٤]، وذهب المبتدعة: إلى أن الغضب يلزم منه فوران الدم والله منزه عن ذلك، **نقول**: ومن قال لكم أن هذا يلزم في حق الله فالله عز وجل له صفات تليق بجلاله: «**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**» [الشورى:١١]، ومثل الغضب السخط والكراهة وغير ذلك من الصفات الفعلية ويغضب الله

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٣٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

على الفجار سواء كان فجورهم كليا كالكافرين أو ربما غضب على بعض المسلمين لتعاطيهم بعض السيئات: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [النساء: ٩٣]، (أَمَّا الرِّضَا يُخْصُّ بِالْأَبْرَارِ) قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقال: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، وقال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا»^(١)، وقد فسر المبتدعة الرضا بالإحسان وتفسيرهم بلازم الرضا.

ثم قال مبيِّناً ما يتعلق بصفات المقابلة: (يَكِيدُ رَبُّنَا بِكُلِّ كَائِدٍ * * * وَمَا كِيدُ بِكَافِرٍ مُعَانِدٍ) الكيد والمكر صفتان متقاربتان بمعنى: أن الله عز وجل يكيد بالكائدين ويمكر بالماكرين، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦]، وقال: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وهذه الصفات عند أهل العلم تسمى بصفات المقابلة والضابط فيها أنها لا تثبت مطلقاً؛ ولذلك لا يقال الله الكائد الله الماكر الله الساخر الله المستهزئ لا تثبت مطلقاً ولا تنفي مطلقاً لكن تثبت في حال المقابلة وهذا كمال فهم يمكرون فيمكر الله بهم ويكيدون فيكيد الله بهم ويسخرون فيسخر الله منهم ويستهزئون فيستهزأ الله بهم ويخادعون فخادعهم الله عز وجل.

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٠- (١٧١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أما الخيانة لما كانت صفة ذميمة لم يقل الله عز وجل وإن يريد خيانتك يخونهم الله وإنما قال فقد خانوا الله من قبل؛ لأن الخيانة صفة ذميمة مطلقاً بينما الكيد والمكر والاستهزاء والسخرية ونحو ذلك يكون كمال من وجه ونقص من وجه، فنحن ثبتها لله عز وجل في حال الكمال إذا نستطيع أن نقول الآن.

تلخص لنا مما تقدم: أن الصفات منها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه تثبت لله عز وجل على الوجه الذي يليق به صفات نقص لا كمال فيها بوجه من الوجوه ينزه الله عز وجل عنها مع إثبات كمال الضد صفات نقص من وجه وكمال من وجه تثبت لله عز وجل في حال كمالها وينزه الله عز وجل عنها في حال نقصها.

(وَوَصَفُ رَبِّنَا عَلَى التَّفْصِيلِ) هذه قاعدة هذه قاعدة كان حقها أن تكون مع القواعد لكن وضعها المصنف في هذا الموطن؛ ليبين أنه سيعجز عن ذكر جميع الصفات التي وصف الله عز وجل بها **الأمور:**

الأمر الأول: أن كل اسم يتضمن صفة، وقد علمنا أن أسماء الله عز وجل غير داخلية تحت عد محصور لنا.

الأمر الثاني: أن الله عز وجل أفعاله لا منتهى لها فعال لما يريد وكل فعل يشتق منه صفة.

الأمر الثالث: أن من صفات الله عز وجل الخبرية، فدل ذلك على أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء، فلو أراد المصنف أن يذكر كل الصفات يطول

الأمر لكن أتى بقاعدة يقول فيها: بأن الأصل في الصفات الثبوتية التفصيل ركز الأصل في أي الصفات الثبوتية التفصيل: السمع، البصر، القدرة، القوة، العلو، الغضب، الرضا، السخط، الكيد، المكر، الأصل في الصفات الثبوتية التفصيل لماذا؟ لأن العرب إذا أرادوا أن يثنوا على غيرهم فصل في الإثبات، وكلما كثرت الصفات الثبوتية لا سيما في حق الله ظهر من كمال الموصوف بها ما لم يكن ظاهرًا من قبل، فإذا المدح في باب الإثبات التفصيل والمدح في باب تنزيه الإجمال، لو دخل رجل على ملك من الملوك وكان الملك من أصحاب العربية الذين يفهمون، أما الآن نسأل الله السلامة لا يفرق بين المدح وبين الذنب!، لكن في الزمن الأول لو دخل على ملك من الملوك ويقول له: أنت لست بيقال ولا ثوام ولا كذاب ولا خراص، لربما أزداه قتيلاً يقول: ما وجدت إلا الصفات السلبية تمدحني بها هذا ذم عند العرب الفصحاء، وإنما لو قيل له: أنت قوي وشجاع وكريم وبطل وكذا وكذا، هذا مدح؛ فلذلك يفصلون في الإثبات ويجمعون في النفي، أنت لست كراعتك، أنت لست كراعتك، ونعود إلى ما نحن فيه، فباب الأسماء والصفات الأصل في الإثبات التفصيل السميع البصير القوي الذي يغضب ويرضى ويسخط ويعطي ويمنع ويرفع ويخفض إلى غير ذلك، والأصل في النفي الإجمال، وهل هذه القاعدة مُطَرِّدة بمعنى لا يمكن أن تتغير أم أنه قد يوجد إجمال في الإثبات ويوجد تفصيل في النفي القاعدة غير مطردة، لكن هذا الأصل: الأصل في الإثبات، فالتفصيل في الأصل

النفي والإجمال، لكن قد يؤتى بإجمال في الإثبات؛ لبيان عموم كمال الله المطلق مثل: (الحمد لله رب العالمين) كلمة (الحمد لله) تقتضي إثبات جميع؛ الكمال لله سبحانه وتعالى، وهكذا كلمة (سبحان الله) تقتضي تنزيه الله عز وجل عن جميع النقائص، ومع ذلك يؤتى بالنفي مفصلاً في حالين:

الحال الأول: دفع ما ادعاه في حقه المبطلون لما قالوا: إن الله ارتاح اليوم السادس أو اليوم السابع، قال الله لهم: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]، ولما قالوا: لله صاحبة وولد، قال الله عز وجل: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:٣]، إلى غير ذلك، فالنفي يؤتى به لدفع توهم نقص ودفع ما ادعى في حقه المبطلون وإلا فالأصل أنه يكون على الإجمال لأنه يدل على الكمال المقدس ووصف ربنا على التفصيل، (في حال إثبات فخذ من قبلي) أي: خذ هذا القول؛ لأنه طريقة السلف، وأما التفصيل في النفي هو طريقة الخلف، مثلاً: الجهمية يقولون: الله ليس بموجود، ليس بحي، ليس في العلو، ليس بسميع، وليس ببصير!!.

(وهكذا الإجمال حال النفي) عكس الأول، كقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك:١]، و (تعالى الله سبحانه ربك)، كل هذا إجمال، وهكذا الإجمال حال النفي، (يَا رَبِّ جَبِّبْنَا سَبِيلَ الْغَيِّ) هذا دعاء يذكر من باب تتممة البيت ومن باب أيضاً دعاء بالسلامة من الفتن.

- ثم أيضاً هنا قاعدة مهمة وهي: أن كل صفة منفية لا بد أن تتضمن كمال ضد الصفات المنفية في حق الله تتضمن كمال ضد أنا إذا قلت: هذا الجدار لا

يظلم هل هناك كمال ضد في وصفه؟! ليس هناك كمال ضده إذا ما هناك مدح، وإذا رأيت المشلول تقول: هذا المشلول لا يسرق، هل هناك مدح؟ ما هناك مدح؛ لأنه أصلاً عاجز عن السرقة، إذا إنما يكون النفي كمال في حق من يعني يكون الضد في النفي، فمثلاً الله عز وجل: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ لكمال حياته، ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]؛ لكمال قوته وقدرته، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]؛ لكمال علمه وقدرته، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]؛ لكمال عدله هكذا كل صفة نقص تدل على كمال ضد.

(سُبْحَانَ رَبِّيَ فِي الْعَلِيِّ سُبْحَانَهُ) جيء بهذا كالتمثيل على النفي المجمع كلمة سبحان تدل على النفي المجمع؛ لأنها تنزيه لله عز وجل عن كل نقص (أَحْمَدُهُ حَمْدًا يُؤَافِي شَانَهُ) كلمت الحمد تدل على الإجمال في ماذا الإثبات سبحان تدل على الإجمال في النفي، والحمد تدل على الإجمال في الإثبات.

يقول: (هَذِي إِشَارَاتٌ إِلَى الْمَطْلُوبِ) يعني: هذه الأبيات التي مضت في باب الأسماء والصفات عبارة عن إشارات لا استيعاب لهذا الباب؛ لأن استيعاب هذا الباب يحتاج إلى وقت أطول ويحتاج إلى دراسة تفصيلية، وقد يثقل على الطالب لا سيما في مثل هذا الموطن لو كنا في باب موطن القواعد، قد نأتي بقواعد كثيرة لكن في باب العقيدة أصلاً تمشي على الأدلة، وقد تحتاج إلى رد بعض الأقوال أهل البدع وليس موطن تفعيد بحيث أذكر جميع القواعد، ثم

أذكر جميع العقائد، ثم أذكر جميع الردود، فلكن هذه إشارات إلى المطلوب والطالب الذكي الطالب الذكي يأخذ من هذه الإشارات أمثلة تطبق على بقية الأمور مثلاً أثبتنا صفة العلو، صفة ذات معنوي؛ إذاً ثبت صفة القوة والقدرة والسمع والبصر والإرادة إلى غير ذلك، أثبتنا صفة الكلام إذاً ثبت جميع الصفات غير مخلوقة؛ لأننا أثبتنا أن الكلام غير مخلوق أثبتنا صفة الوجه واليدين إذاً ثبت صفة الأصابع والكف والقدم والساق وغير ذلك من الصفات الخبرية، أثبتنا صفة الغضب إذاً ثبت جميع الصفات الفعلية؛ لأن الذي يفعل أكمل من الذي لا يفعل والذي يعني يتصف بالفعل أكمل من الذي لا يتصف به، فقله: (هَذِي إِشَارَاتٌ إِلَى الْمَطْلُوبِ) أي: في هذا الباب، (تُغْنِي عَنِ التَّطْوِيلِ لِلْيَبِ) للعاقل الذكي، وأما غير الذكي قد يحتاج إلى كل صفة بعينها تأتي تقول له ما رأيك في صفة المحبة يقول والله ما درسناها هذي ما ندري هي ثابتة أو غير ثابتة لكن الطالب النبيه يقول كما اثبتنا صفة الغضب ثبت صفة المحبة ثبت صفة الرحمة نسبة صفة الرضا نسبة صفة السخط ثبت صفة كذا وكذا الكراهة والبغض والمقت يعني: كل ما جاء به الأدلة ثبتته.



مراتب الدين مجملة ومفصلة

قال رحمه الله:

- ٥٥- مَرَاتِبُ الدِّينِ هِيَ الْإِيمَانُ ❀ كَذَلِكَ الْإِسْلَامُ وَالْإِحْسَانُ
- ٥٦- دَلَّ عَلَيْهَا مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ ❀ عَنْ عُمَرَ الْفَارُوقِ ذَاكَ الْمُلْهَمُ
- ٥٧- وَاعْلَمْ بِأَنَّ أَوْجَبَ الْأَعْمَالِ ❀ تَوْحِيدَ رَبِّي فَاحْفَظْهُ مَقَالِي
- ٥٨- ثُمَّ الصَّلَاةُ خَصْلَةُ الْأَبْرَارِ ❀ تَارِكُهَا يُلْحَقُ بِالْكَفَّارِ
- ٥٩- عَلَى صَاحِبِ قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ ❀ دَلِيلُهُمْ لَا يَنْطَوِي فِي نَظْمِي
- ٦٠- ثُمَّ زَكَاةُ الْمَالِ عُدَّتْ يَا أَخِي ❀ ثَالِثَةَ الْأَرْكَانِ فَاسْمَعْ وَأَنْتِخِ
- ٦١- مِنْ كُلِّ فَنٍّ فِي الْعُلُومِ مَا يَفِي ❀ بِحَاجَةِ الْمُسْلِمِ خُذْهَا وَاصْتَفِ
- ٦٢- ثُمَّ الصَّيَامُ بِأَبْوَابِ الرِّيَّانِ ❀ بِالْحَجِّ تَمَّتْ يَا فَتَى الْأَرْكَانِ
- ٦٣- إِسْلَامُنَا اسْتِسْلَامُنَا لِلْبَارِي ❀ فِي جَهْرِنَا وَحَالَةِ الْإِسْرَارِ

الشرح:

يقول: (مراتب الدين: مجملة ومفصلة)، مجملة بمعنى: أن الدين ينقسم إلى

ثلاث مراتب من الأعلى إلى الأدنى: الإحسان، ثم الإيمان، ثم الإسلام، ومن الأدنى إلى الأعلى: الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان، وأخذت هذه المراتب

من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسلم وفي آخره قال: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ

أَتَاكُمْ يَعْلَمُكُمْ دِينَكُمْ»^(١).

يقول رحمه الله: (مَرَاتِبُ الدِّينِ هِيَ الإِيمَانُ ❀❀ كَذَلِكَ الإِسْلَامُ وَالإِحْسَانُ) قلت لكم: بأن هذا الترتيب أخذه سياقة النظم وإلا فهي من الأعلى: الإحسان، ثم الإيمان، ثم الإسلام، وأما على النبي صلى الله عليه وسلم فعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(٢)، الحديث، وجاء بمعناه عن أبي هريرة رضي الله عنه، (دَلَّ عَلَيْهَا) أي: على هذه المراتب (مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ) وهو الإمام أبو الحسين مسلم بن

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ١- (٨).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١- (٨).



الحجاج القشيري النيسابوري صاحب "الصحيح" (عَنْ عُمَرَ الْفَارُوقِ) عمر بن الخطاب المُلقب بالفاروق أبو حفص أمير المؤمنين ثاني الأمة فضلاً، وسيأتي بيان بعض شأنه في فضائل الصحابة (ذَلِكَ الْمُنْهَمُ) إشارة إلى حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيهَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدِّثُونَ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ»^(١)، رضي الله عنه، فقد وافق القرآن في مواطن كثيرة، وهذا من إلهام الله له وتوفيق الله له.

(وَاعْلَمَ) أي: تعلم (بِأَنَّ أَوْجَبَ الْأَعْمَالِ) أي: الأعمال الواجبة على العبد في حياته العلمية والعملية، (تَوْحِيدُ رَبِّي) هو الواجب الأول المفخم المعظم كما في حديث معاذ بن جبل أن صلى الله عليه وسلم قال: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ» قُلْتُ: لَا، قَالَ: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»^(٢)، والله عز وجل أرسل لذلك الرسل، وأنزل له الكتب، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، أي: وحدوه وأفردوه بما يجب له، (فَأَحْفَظُنْ مَقَالِي) احفظ هذا المقال؛ لأن حفظ العلم هو العلم؛ حتى قال بعض السلف: (عِلْمٌ لَا يَدْخُلُ مَعَكَ الْحَمَامَ لَيْسَ بَعْلَمَ)، وقال الأخر: (العلم ما حواه الصدر، لا ما حواه القمطر). أو كما قال، وقال ابن حزم: وأن تحرق القرطاس لن تحرقوا ❀❀❀ تضمنه القرطاس بل هو في صدري

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٤٦٩).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٢٦٧).

يسير معي حيث استقلت ركائي ❦❦ وينزل أن أنزل ويدفن في قبري
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس: «**احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا
بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ**»^(١)، **وقال الرحيبي**: (احفظ فكل حافظ إمام)، فلا يستقيم شأن
طالب العلم في العلم إلا بالحفظ لا يستقيم شيئاً طالب العلم في العلم إلا
بالحفظ، أما الدراسة النظرية ثم لا يحفظ العلم هذا قد لا يستطيع أن يفصح عن
العلم، لكن إن كان حافظاً للعلم سيستطيع الإفصاح عنه والبيان له والإفادة به
إلى غير ذلك.

(ثُمَّ الصَّلَاةُ) والمراد بأوجب الأعمال توحيد الله يشار إليه بقول النبي
صلى الله عليه وسلم لما سئل عن أركان الإسلام قال: «**شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ..**»، تدخل فيها؛ لأنها يعني دالة على أفراد محمد صلى الله عليه
وسلم بالمتابعة والأخذ، وقوله: **(ثُمَّ الصَّلَاةُ)** الركن الثاني هو الصلاة المراد بها
الصلوات الخمس المفروضات (**خَصْلَةُ الْأَبْرَارِ**) يعني: الخصلة التي يتميز بها
الأبرار، قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾
[المؤمنون: ١-٢]، الآيات إلى أن قال: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ *
أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ**﴾ [المؤمنون: ٩-١٠]، **(تَارِكُهَا يُلْحَقُ بِالْكَفَّارِ)**:

(عَلَى صَحِيحِ قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ)؛ لأن المسألة قد اختلف فيها العلماء، فذهب
جمهور المتأخرين: إلى أن تارك الصلاة تكاسلاً ليس بكافر وإنما يكفر من

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٣) عن ابن عباس رضي الله عنه.

تركها جاحداً، وذهب جمهور المتقدمين إلى تكفير تارك الصلاة سواء تركها متعمداً قصدي متكاسلاً أو جاحداً، بل نقل ابن القيم عليه إجماع الصحابة رضوان الله عليهم مستدلاً بحديث عمر رضي الله عنه أنه قال: (لَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ)، وكان أميراً للمؤمنين وكان بمحضر جمع من الصحابة، ولم يرد أنهم خالفوه أو عارضوه فهكذا في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقِ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ: (كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرُونَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرَكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ)، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»^(١)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**»^(٢)، وقال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٣]، وقال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٤]؛ لأنهم كانوا لا يسجدون في الدنيا أو كانوا يسجدون في الدنيا رياء وسمعة، **(دَلِيلُهُمْ)** الأدلة على كفر تارك الصلاة **(لَا يَنْطَوِي)** أي: لا يحتمله **(فِي نَظْمِي)**؛ لأن هذا النظم عبارة عن نظم مختصر لتقريب مهمات العقيدة والله المستعان وهي خمس صلوات في اليوم والليلة افترضها الله على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته حيث عرج بمحمد صلى الله عليه وسلم إلى مستوى يسمع فيه

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦٢١) عن بريدة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٣٤- (٨٢).

صريف الأقاليم بخلاف بقية المفروضات فقد نزل بها جبريل عليه السلام وكانت خمسون ثم رحم الله العباد وجعلها خمسين في العد وخمسون في الأجر.

(ثُمَّ زَكَاةُ الْمَالِ عُدَّتْ يَا أَخِي) وأيضا من أركان الإسلام الزكاة، وهي في

اللغة: النماء والطهر، وفي الاصطلاح: إخراج مال مخصوص من أشياء مخصوصة والأموال التي فيها الزكاة تسعة التي عليها الاعتماد، وهناك أمور مذكورة لن تثبت الأدلة فيها في النقدين الذهب والفضة وما يقوم مقامها وفي الغراس، والزبيب، والتمر، وفي الحبوب: الحنطة والشعير، وفي بهيمة الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم، ومنها ما يشترط فيه حولان الحول مع النصاب وهي النقدان: الذهب والفضة، وهكذا بهيمة الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم، وأما الأصناف التي تخرج من الأرض فلا يشترط فيها الحولان بمجرد بلوغ النصاب يخرج زكاتها ولو في اليوم.

- وهل يكفر تارك الزكاة بخلاً أو جحوداً؟

الجواب: أما تاركها فلا إشكال في أنه كافر كفر أكبر مخرج من الملة؛ لأنه مكذب لله ومكذب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أنكر شيئاً معلوم من الدين ضرورة، وأما الزكاة إذا تركها بخلاً **فالصحيح:** أنه لا يكفر؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لمَّا ذكر مانع الزكاة قال: **«حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ»**^(١)، فلو كان مانعها بخلاً كافراً ما كان هناك إلا منزل واحد

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٤- (٩٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وهو النار، (ثَالِثَةُ الْأَرْكَانِ) هذه فائدة عرضية هذه فائدة عرضية لما ذكر الزكاة وما يتعلق منها أضاف فائدة عرضية لتنشيط الطالب على اختيار العلم الذي يحتاج إليه؛ لأن المتشعب في باب العلم وعدم المنتظم قد يمضي عمره وهو لا ظفر ولا أخفاق ومشتت العزمات يبني عمره حيران لا ظفرًا ولا إخفاق لا ظفر ولا إخفاق بينما لو رتب وقت وأخذ من العلوم ما يحتاج إليه المهمات المهمات لاستفاد في الفترة الوجيزة فيقول: (فَاسْمَعْ) أي: اسمع لنصيحتي (وَائْتِخْ) أي: اختر.

(مِنْ كُلِّ فَنٍّ فِي الْعُلُومِ مَا يَفِي) في علم المصطلح خذ لك ما يكفيك في علم اللغة خذ ما يكفيك في علم الأصول خذ ما يكفيك، أما إذا أردت مثلاً أن تتخصص في الأصول فقط تحتاج إلى دراسة مطولات والمختصرات والاعتراضات والموافقات لكن خذ من علم الأصول ما تستطيع أن تميز به بين الواجب والمستحب والمحرم والمكروه، وكذلك المباح وما تستطيع التمييز فيه بين الناسج والمنسوج وبين العام والخاص وبين المطلق والمقيد وبين المجمل والمفصل وبين كذا وكذا مما يحتاج إليه الطالب لا ينبغي أن يجهله، وهكذا في باب المصطلح خذ ما تستطيع أن تتوصل به إلى الحكم على الحديث قبولاً أو ردًا أما إذا أردت أن تتوسع فهذا يحتاج إلى عمر مديد، وهكذا في باب اللغة خذ ما تقوم به اللسان خذ ما تقوم به اللسان ومع مهمات بعض الناس ربما يستقيم لسانه بدراسة الأجرومية أو بدراسة التحفة السنية إليها وبعض الناس؛

لأنه غير مهتم أصلاً بهذا الباب إنما هو تحصيل عملي يعني نظر لا عملي قد يأخذ إلى القطر، وقد يأخذ إلى ابن عقيل والألفية وشذرات الذهب والمغني وهو لا يستطيع أن يتكلم بالفصيحة فلذلك لا يضيع وقته فيما لا فائدة فيه له لكن إذا تخصص إذا أراد أن يتخصص لا محذور في التخصص، لكن بعد أن يأخذ القصة الأكبر من باب العقيدة والتوحيد، **(بِحَاجَةِ الْمُسْلِمِ خُذَهَا وَاكَتَبِ)** خذ هذه النصيحة واكتفي بها؛ حتى لا يذهب عمرك سداً وأنت بعيد عن الإفادة والاستفادة فكثير من طلاب العلم يا إخوة قد يمكث السنة والستين والثلاثة والأربع والخمس والست والعشر وهو كما يقال في محلك راوح، ما السبب الذي جعله على هذا الأمر؟ لأنه لم يرتب وقته لم يرتب وقته في الاستفادة والإفادة لم يحرص على الوقت لم يأخذ بجوامع العلوم، خذ بجوامع العلوم فهناك جوامع تستطيع بفهمك لها أن تفهم غيرها، فمثلاً في المصطلح: الآن لو تقرأ بعض المقدمات ثم إذا أردت التوسع من باب المذاكرة من باب الاطلاع تستطيع أن تقرأ لنفسك بعد أن تفهم أصل المادة، وهكذا في باب اللغة، وهكذا في باب الأصول، وهكذا حتى في باب العقيدة تأخذ مع المدرس ما تستطيع أن تميز به الحق من الباطل وتفهم كيفية دراسة هذه المادة، ثم ذلك تنطلق إلى الاستفادة بنفسك وما أشكل عليك ترجع إلى علمائك.

(ثُمَّ الصِّيَامُ بِأَبْنِ الرَّيَّانِ) الركن الرابع من أركان الإسلام على قول جماهير العلماء أنه الصيام ذهب البخاري إلى تقديم الحج على الصيام لرواية جاءت

عن ابن عمر، **والصحيح**: ما ذهب إليه الجمهور؛ لأن الرواية قد جاءت بالأمرين ثم الصيام بابه الريان شار إلى حديث أبي هريرة: أن من كان من أهل الصيام فيدعى من الريان، والمراد بالصيام هنا: شهر رمضان الذي افترضه الله على عباده، وأحكامه كثيرة قد صنف فيها المصنفات المطولات والمختصرات، **(بالحج)** وهو: الزيارة والقصد لبيت الله الحرام، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، **(تمت يا فتى الأركان)** تمت أركان الإسلام الخمسة، وهل يكفر تارك الحج؟ لا يكفر إلا إذا جحده، وإلا أنه لا يكفر كفر أكبر مخرج من الملة، ولكنه يكون عاصياً.

ثم قال: **(إسلامنا استسلامنا للباري)** هذا تعريف الإسلام، فالإسلام هو: الاستسلام لله بالتوحيد والبراءة من الشرك وأهله، وإسلام استسلام الباري، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، و**(الباري)** من أسماء الله الحسنى، **(في جهرنا)** أي: في حال جهرنا، في ليلنا ونهارنا مع الناس وفي **(وحالة الإسرار)** تكون مستسلماً ظاهراً وباطناً وفي جميع شأنك.

ثم قال رحمه الله:

- | | | | |
|-----|--|---|---|
| ٦٤- | إِيمَانُنَا قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَعَمَلٌ | ✿ | تَزِيدُهُ الطَّاعَةَ نَقْصُهُ الزَّلَّالُ |
| ٦٥- | أَعْمَالُنَا تَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ | ✿ | بِعَكْسِ قَوْلِ مُرْجِيٍّ فَتَّانٍ |
| ٦٦- | وَاسْتَنْ فِي الْإِيمَانِ كُنْ فَهِمَا | ✿ | مَنْ غَيْرِ شَكِّ كُنْ بِهَا عَلِيمًا |

- ٦٧- أَرْكَانُهُ فِي الْعَدِّسَتْ فَادُّكْرِ ❁ بَادِرْ بِتَحْقِيقِ وَلَا تُؤَخِّرِ
- ٦٨- أَوْلُهَا إِيْمَانُنَا بِاللَّهِ ❁ رُكْنٌ عَظِيمٌ فَاسْتَمِعْ يَا لَاهِي
- ٦٩- وَبَعْدَهُ الْإِيْمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ ❁ يَا رَبِّ جَنِّبْنَا سَبِيلَ الْهَالِكَةِ
- ٧٠- ثَالِثُهَا إِيْمَانُنَا بِالْكِتَابِ ❁ يَا رَبِّ حَقِّقْ لِي جَمِيلَ طَلْبِي
- ٧١- رَابِعُهَا الْإِقْرَارُ بِالنُّبُوَّةِ ❁ جَمٌّ غَفِيرٌ بَلَّغُوا بِقُوَّةِ
- ٧٢- أَفْضَلُهُمْ وَخَيْرُهُمْ مُحَمَّدٌ ❁ خَاتَمُهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ سَيِّدٌ
- ٧٣- وَحَقُّهُ طَاعَتُهُ فِيْمَا أَمَرَ ❁ وَالْإِنْتِهَاءَ عَنِ الَّذِي عَنْهُ زَجَرَ
- ٧٤- وَهَكَذَا تَصْدِيقُهُ فِي ذَا الْخَبَرِ ❁ تَعْزِيرُهُ تَوْقِيرُهُ نِلْتَ الظَّفَرَ
- ٧٥- وَمَا أَتَى فِي فَضْلِهِ مُحَقَّقًا ❁ بِهِ فَايْمُنْ لَا تَكُنْ مُنَافِقًا
- ٧٦- قَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْرَاءِ ❁ لِيَبْتَ مَقْدِسٍ بِإِلَا امْتِرَاءِ
- ٧٧- وَهَكَذَا مِعْرَاجُهُ إِلَى الْعُلَا ❁ يَقْظَةَ إِلَيْهِ جَلٌّ وَعَالَا

الشرح:

يقول: (إِيْمَانُنَا) الإيمان في اللغة: الإقرار، وقيل: التصديق، وتعريفه بالإقرار أولى؛ لأن الإقرار تصديق وزيادة، وهذا هو الذي رجحه شيخ الإسلام رحمه الله في كتاب الإيمان، (قَوْلٌ) أي: قول باللسان، (وَفِعْلٌ) أي: بالجوارح، (وَعَمَلٌ) أي: فعل الجوارح، فهو قول القلب واللسان، والفعل فعل الجوارح والقلب، والعمل عمل الجوارح إنما أخذه يعني: ما أخذ قافية، وأغلب السلف يقولون في قول وعمل ما يقولون قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح

والأركان، كما نقل ذلك اللالكائي في كثير من المواطن عن جمع غفير من السلف، وهكذا ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه "العقيدة الواسطية"، وهكذا البخاري في كتابه "الصحيح" (باب الإيمان قول وعمل)، فماذا يريدون بالقول؟ يريدون بالقول: قول القلب واللسان، ويريدون بالعمل عمل القلب وعمل الجوارح، فقول القلب إقراره وعمله إخلاصه وتوكله وإنابته وخشيته، وقول اللسان نطقه، وعمل الجوارح معلومة، ويدل على هذا الأمر حديث أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ لمسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضعٌ وسبعون، أو بضعٌ وستون، شعبةٌ، فأفضلها قولٌ لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياة شعبةٌ من الإيمان»^(١)، فتضمن هذا الحديث: الاعتقاد وعمل القلب، وتضمن هذا الحديث: قول اللسان وتضمن عمل الجوارح، وهذا التعريف عليه إجماع السلف وإنما خالفه المبتدعة من المرجئة وغيرهم، (تزيده الطاعة) الإيمان يزيد بالطاعة كما قال الله عز وجل: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقال: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]، في آيات كثيرة ست آيات أو سبع آيات في القرآن فيها التصريح بالزيادة، وإذا وجدت الزيادة دل على وجود النقص؛ لأن الشيء الذي يزيد ينقص الشيء الذي يزيد ينقص؛ ولذلك قال الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]، قال البخاري: (فلما كمل دل على أن ما دون ذلك

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٥٨- (٣٥).

النقصان)، معنى كلامه والقول بالزيادة إجماع بين أهل السنة والجماعة والقول بالنقصان خالف فيه مالك، ثم عاد إلى قول الجماعة وحجة مالك قال: وجدت الزيادة ولم أجد مع أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُعَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١)، فقوله: «أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»: يدل على نقص، وهكذا: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»^(٢)، (تَقْصُهُ الزَّلَّلُ) ويخالف أهل السنة في هذا الأمر الخوارج والمرجئة يرون: أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص زيادته ونقصانه كفر، وقولهم مخالف للمعقول والمنقول.

(أَعْمَالُنَا تَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ) الصلاة من الإيمان، والزكاة من الإيمان، وبر الوالدين من الإيمان، وطلب العلم من الإيمان، وصلة الأرحام من الإيمان كل الأعمال الصالحة التي أمر الله عز وجل بها داخل في مسمى الإيمان، (بِعَكْسِ قَوْلِ مُرْجِيٍّ فَتَّانٍ) المرجئة يرون: أن الأعمال غير داخلية في مسمى الإيمان؛ ولذلك من قال عندهم (أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله) كامل الإيمان؛ لأن الصلاة أصلاً ليست من الأيمان، فَعَلَّهَا وَلَمْ يَفْعَلْهَا، والزكاة ليست من الإيمان فَعَلَّهَا أَوْ لَمْ يَفْعَلْهَا، لكن لَمَّا كَانَ أَهْلُ السَّنَةِ يَرُونَ: أَنَّ الْأَعْمَالَ دَاخِلَةَ فِي مَسْمُوعِ الْإِيمَانِ: مِنْ تَرَكِ الصَّلَاةِ لِحَقِّهِ حَكْمَهُ، وَمَنْ تَرَكِ الزَّكَاةَ لِحَقِّهِ

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٧٨-٤٩).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٠٤) عن أبي سعيد الخدري.



حكمه، ومن ترك بر الوالدين لحقه حكمه، وهكذا ولمزيد بيان يعني الإيمان كأنه كره، تخيل أنه كرة سيكون الصلاة والزكاة والحج والبر والطاعة داخله فيه عند أهل السنة، وأما المرجئة كل هذه الأعمال خارجة عن هذا الوصف كأنها خارجة عن هذه الكرة فليست منه؛ فلذلك يعتقدون في الزاني كامل الإيمان السارق كامل الإيمان الرقاصة والمغنية كامل الإيمان كل مبطل عندهم على إيمان جبرائيل وميكائيل بمجرد التصديق، بل هم أربع فرق عند التحقيق هم أربع فرق:

الفرقة الأولى: (الجهمية) الذين عندهم الإيمان المعرفة، إذا عرفت الله بقلبك أنت مؤمن ولو لم تصدق ولو لم تقر ولو لم تنطق.

الفرقة الثانية: (الكرامية) الإيمان عندهم النطق ولو كذب القلب هؤلاء المنافقون يدخلون في الإيمان.

الفرقة الثالثة: (الماتريدية) عندهم الإيمان بالقلب ولو لم تنطق.

الفرقة الرابعة وهي المشهورة: (مرجئة الفقهاء) أبو حنيفة محمد بن أبي سليمان والطحاوي وهكذا أبو يوسف ومحمد بن حسن ومن إليهم يقولون: الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب فقط.

- أما أهل السنة والجماعة يرون: أن الأعمال داخله في مسمى الإيمان، ما حجتهم؟ **الجواب:** قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧]، قالوا: فرق الله بين الإيمان والعمل الصالح فزعموا أن الإيمان مغاير للعمل

الصالح وهذا لسوء فهمهم، وإلا فهذا من عطف الشيء على نفسه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧]، والصالحات من الإيمان كما قال الله عز وجل: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وفي قراءة: (والصلاة والوسطى صلاة العصر)، وفي قراءة عائشة (والصلاة الوسطى من الصلوات)، وأما الخوارج فهم يرون أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان كعقيدتنا، إلا أنهم يرون أن من ترك عملاً من الواجبات كفر ومن ارتكب معصية كفر، أعمالنا تدخل في الإيمان: (بِعَكْسِ قَوْلِ مُرْجِي فَتَانٍ): ولو تأملت "صحيح البخاري" تجد: (كتاب الإيمان) وباب الزكاة من الإيمان، وباب الحج من الإيمان، وباب أداء الخمس من الإيمان، وباب إتباع الجنائز إيماناً واحتساباً من الإيمان، وباب قيام رمضان من الإيمان، وباب قيام ليلة القدر من الإيمان، كل هذا رد على المرجئة.

(وَاسْتَشْنِ فِي الْإِيمَانِ كُنْ فَهَيْمًا) إذا قيل: هل أنت مؤمن؟ قل: أرجو ذلك، فلا تقول مؤمن، أو قل: مؤمن إن شاء الله، أو قل: أمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله اليوم الآخر والقدر خيره وشره، هذا مذهب السلف في الإيمان، لا تجزم لنفسك بالإيمان، لكن هل هذا الاستثناء على الشك؛ لأن المرجئة زعموا أن أهل السنة شكاكة، قالوا: هؤلاء ما هم متأكدين أنهم من أهل الإيمان؛ فلذلك يستشنون؟

الجواب: قولهم باطل، فمن شك في إيمانه كفر بلا شك ولا ريب، لكن الاستثناء إما على التبرك بذكر الله أو على ما يخم للإنسان أو عدم تركه أو ترك



التزكية ونحو ذلك من الأوجه التي يذكرها أهل العلم.

(مِنْ غَيْرِ شَكٍّ)؛ لأن الشك لله عز وجل أو في صفاته أو في كتبه أو في رسله أو

فيما هو من شأن ما أخبر الله به يعتبر مناقض للإيمان، (كُنْ بِهَا عَلِيًّا)؛ لأن الناس

في الاستثناء ثلاث أصناف:

منهم: من أوجبه.

ومنهم: من حرمه.

ومنهم: من رأى الاستحباب فيه.

قال عبد الرحمن بن مهدي: [ترك الاستثناء أصل الإرجاء]، عودوا معي

الآن؛ لأن مسائل الإيمان محصورة من الزمن الأول إلى أن ينتهي العلم، ما

هناك مسائل مستجدة كل يوم نزيد مسألة مسائل الإيمان محصورة إذا فهمتها

فهمت الباب، إنما بين مختصر وبين مطول:

الأول: تعريف الإيمان، قلنا في اللغة: الإقرار، وفي الاصطلاح: قول

باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح.

المسألة الثانية: الزيادة والنقصان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

المسألة الثالثة: دخول الأعمال في مسمى الإيمان الصلاة والصيام وجميع

أعمال البر من الإيمان.

المسألة الرابعة: الاستثناء في الإيمان إذا قيل لك أمؤمن أنت تقول إن شاء

المسألة الخامسة: العلاقة بين مسمى الإيمان ومسمى الإسلام هل هما شيء واحد أم أن الإيمان والإسلام متغايرة ذهب بعض أهل العلم إلى أن الإيمان هو الإسلام وذهب بعض أهل العلم إلى التغاير، وأن الإيمان عمل القلب والإسلام عمل الجوارح، وذهب بعض أهل العلم إلى جمع، قالوا: إذا اجتمعا افترقا.

أنت يا زيد مسلم مؤمن المراد بالإسلام: العمل الظاهر، وبالإيمان: العمل الباطن، لكن إذا قيل: (زيد مؤمن) المراد: بهما مسلم، وإذا قال الزيد: (مسلم) المراد به: هو مؤمن، فهذا هو الذي تجتمع به الأدلة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله وفد عبد القيس عن الإيمان قال: **«شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا حُمْسَ مَا عَنِتُّمْ»**، فكم هي مسائل الإيمان في هذا الحديث؟ هي خمسة مسائل إذا فهمتها انتهينا من هذا الباب، باقي معك بعد ذلك: إلى أن تتزود فقط من باب يعني الأدلة من باب أقوال أهل العلم وإلا هي هذه الخمسة المسائل مسائل هذا الباب،

- ثم قال بعد أن انتهى من نظم ما يتعلق بالإيمان تعريفاً وأحكاماً: **(أركانُهُ فِي الْعَدِّ سِتٌّ فَادْكُرْ)**، أركانه أركان الإسلام أركان الإيمان ستة دل عليه حديث عمر في مسلم وحديث أبي هريرة في "الصحيحين"، وقد قال الله عز وجل: **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾** [البقرة: ٢٨٥]، وهكذا قوله تعالى: **﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ**

قَبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴿البقرة: ١٧٧﴾، بقيّ الإيمان بالقدر، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ
خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]،
(بَادِرٌ) أي: عجل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا
كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ»^(١)، (بِتَحْقِيقِ) لهذه الأركان الستة، (وَلَا تُؤَخِّرِ) لا تسوف فإن
التسويق سبب الخسران المبين.

(أَوْهًا إِيْمَانًا بِاللَّهِ ❀❀ رُكْنٌ عَظِيمٌ فَاسْتَمِعْ يَا لَاهِي): تقدمت الأدلة فقد سئل
النبي صلى الله عليه وسلم أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قَالَ: «الإِيْمَانُ بِاللَّهِ»^(٢).

- والإيمان بالله يتضمن أربع أشياء:

الأول: الإيمان بوجوده.

الثاني: والإيمان بألوهيته.

الثالث: والإيمان بربوبيته.

الرابع: والإيمان بأسمائه وصفاته.

وقد تقدم الكلام على هذه الأقسام في موطنها، (رُكْنٌ عَظِيمٌ)؛ لأنه الركن
الذي به تستقيم بقية الأركان (فَاسْتَمِعْ) سمع استفادة لا سمع مجرد، (يَا لَاهِي)
من أنت بعيد عن العلم والفهم.

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٨٦-١١٨).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٣٦-٨٤) عن أبي ذر رضي الله عنه.

(وَبَعْدَهُ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ) بعد الإيمان بالله: الإيمان بالملائكة، وهو: مشتق من الألوكة الرسالة، وهم خلق عظيم خلقهم الله من نور، وأعمارهم طويلة، وهم مكلفون بأعمال كثيرة: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦٠]، ونؤمن بهم على الإجمال، ثم نؤمن بمن أخبرنا الله عز وجل بأسمائهم: كجبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، ونؤمن بما أخبر الله عز وجل من أعمالهم: كملك الموت، وملك الجبال، وخازن الجنة، وخازن النار، وجبريل ملك الوحي، وميكائيل ملك المطر، وإسرافيل ملك النفخ في الصور، وما من ملك من ملائكة الله إلا وله عمل وكُلُّ به كملائكة الأرحام، وملائكة القطر ونحو ذلك، (يَا رَبِّ جَنِّبْنَا سَبِيلَ الْهَالِكَةِ) أي: سبيل الهلاك وهو الزيغ عن منهج السلف الصالح.

(ثَالِثُهَا) ثالث الأركان: (إِيمَانُنَا بِالْكِتَابِ) الكتب المنزلة، وما أرسل الله من رسول إلا وأنزل معه كتاب، كما قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥]، وإنما عَلِمْنَا بالقرآن، والزيور، والتوراة، والإنجيل، وصحف إبراهيم، وصحف موسى، وقيل: بأن صحف موسى هي التوراة فنؤمن بها إجمالاً، ونؤمن أنها قد حُرِّفَتْ وَغُيِّرَتْ وَبُدِّلَتْ إلا ما كان من القرآن فهو الكتاب المحفوظ الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ويدخل في الإيمان بالكتب: الإيمان بأن الله تكلم بها حقيقة وليست بمخلوقة، (يَا رَبِّ

حَقَّقْ لِي جَمِيلَ طَلَبِي) وهو الهداية والثبات على الدين والاستمرار في العلم والخير وغير ذلك من الأدعية التي تطلب من الله عز وجل.

(رَابِعُهَا الإِقْرَارُ بِالنُّبُوَّةِ) لماذا لم يقل التصديق بالنبوة؟ لأن التصديق قد لا يكون معه إقرار، قد لا يكون معه إيمان، كم من المنافقين الذين يصدقون بأن محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله، لكنهم لم يقروا بذلك فلذلك لم يدخلوا في الإيمان الإقرار بالنبوة، **(جَمٌّ غَفِيرٌ بَلَّغُوا بِقُوَّةٍ)** أي: عدد كثير، أكثر من مئة وثلاثة عشر ألف نبي، وأما الرسل فهم ثلاث مئة وثلاثة عشر رسولاً، **(بَلَّغُوا بِقُوَّةٍ)** قال تعالى: **(يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)** [مريم: ١٢].

(أَفْضَلُهُمْ) أفضل الأنبياء والرسل: **(وَخَيْرُهُمْ مُحَمَّدٌ)** صلى الله عليه وسلم، وهو: أحمد، والحاشر، والمقفي، ونبي التوبة، ونبي الرحمة: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ينتهي نسبه إلى إبراهيم عليه السلام، وهو من أولاد إسماعيل دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى، **(خَاتَمُهُمْ)** آخرهم لا كما يقول القاضياني ومن إليهم: بأن خاتمهم أي: زينتهم بل هو آخرهم، قال تعالى: **(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)** [الأحزاب: ٤٠]، **(وَهُوَ عَلَيْهِمْ سَيِّدٌ)**، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ)** ^(١).

(وَحَقُّهُ طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ) يعني: ما حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله؟ طاعته فيما أمر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ، فَأَتُوا مِنْهُ مَا**

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٧١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

استطعتم»^(١)، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، (وَالْإِنْتِهَاءُ عَنِ الَّذِي عَنْهُ رَجَزَ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مَهَيْتُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ»^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، لجريناها.

(وَهَكَذَا تَصْدِيقُهُ فِي ذَا الْحَبْرِ)، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤]، فمن كذب محمداً صلى الله عليه وسلم في خبره كفر، (تَعَزُّرُهُ وَتَوْقِرُهُ نِلَتْ الظَّفْرَ) كما قال الله عز وجل: ﴿لِئَلَّامُنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]، أي: تعظموه، ولا تنادونه كما تنادون أنفسكم ولا ترفعوا أصواتكم عليه، (نِلَتْ الظَّفْرَ) إذا لزمته سنته وأطعت طريقته هذه تسمى مقتضى شهادة: (أن محمداً رسول الله) يعني: لا يكفي أن تشهد أن محمداً رسول الله باللسان، لا بد أن يتواطأ القلب واللسان على ذلك، ثم أن من مقتضاها: طاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيما أمر، والانتهاة عما نهى عنه وزجر، وتصديقه فيما أخبر، وألا يُعبد الله عز وجل إلا بما شرع، قال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦].

(وَمَا أَتَى فِي فَضْلِهِ مُحَقَّقًا) ❀ ❀ ❀ بِهِ فَاَمِنْ لَا تَكُنْ مُنَافِقًا) كل ما جاء بفضل من الآيات والأحاديث: آمن بها وحق ذلك، وإياك وصفة النفاق وهي: إظهار

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٤١٢- (١٣٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٣٠- (١٣٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الإيمان وإبطان الكفر؛ فإنها صفة ذميمة توعد الله أهلها من النار: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

(قَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْرَاءِ ❀❀ لَيْتَ مُقَدِّسٍ) من ذلك أن الله عز وجل أسرى به من مكة إلى بيت المقدس يقظةً لا منامًا بهذا القيد، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]، (بَلَا امْتِرَاءً) أي: بلا شك.

(وَهَكَذَا مِعْرَاجُهُ إِلَى الْعَلَا) المعراج كان من بيت المقدس إلى حيث انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأعلام (يَقْظَةً) ردًا على من زعم أنه رؤيا، (إِلَيْهِ جَلَّ وَعَلَا) إلى الله سبحانه وتعالى، كما ذكر ذلك الله عز وجل في سورة النجم: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٠-١٤]، إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١٨]. الآيات الكثيرات.

قال رحمه الله:

- | | | | | |
|-----|---|---|---|---|
| ٧٨- | ❀ | ثُمَّ يَلِي إِيمَانَنَا بِالْآخِرَةِ | ❀ | يَوْمٌ بِهِ الْأَهْوَالُ طُرًّا حَاضِرَهُ |
| ٧٩- | ❀ | تَطِيرُ فِيهِ الصُّحُفُ وَالْكِتَابُ | ❀ | وَيُوضَعُ الْمِيزَانُ وَالْحِسَابُ |
| ٨٠- | ❀ | شَفَاعَةُ عَظْمَى لِدَا الرَّسُولِ | ❀ | وَالْحَوْضُ وَالْكَوْثُرُ خُذْ مَنْقُولِي |
| ٨١- | ❀ | وَرُؤْيَا الْجَبَّارِ يَوْمَ الْحَشْرِ | ❀ | ثَابِتَةً بِالنَّصِّ دُونَ نُكْرٍ |
| ٨٢- | ❀ | يُرَى تَعَالَى فِي الْعَلَا كَالشَّمْسِ | ❀ | أَوْ قَمَرٍ يُبْدُو بغيرِ لَبْسِ |
| ٨٣- | ❀ | وَيَنْزِلُ الرَّبُّ إِلَى السَّمَاءِ | ❀ | بغيرِ كَيْفٍ جَلَّ فِي الْعُلْيَاءِ |

- ٨٤- وَالْجِسْرُ مَمْدُودٌ عَلَىٰ جَهَنَّمَ ❦ فَمِنْ مَكْرَدَسٍ وَمِنْ مُسَلِّمٍ
- ٨٥- يَا رَبَّنَا رَحْمَاكَ إِنِّي مُذْنِبٌ ❦ مُقْصِرٌ مُسْتَغْفِرٌ وَتَائِبٌ
- ٨٦- عَذَابٌ قَبْرٍ فَتَنَةٌ مَعَ صَمَّةٍ ❦ أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ طَرِيقُ الْجَنَّةِ
- ٨٧- وَيَسْأَلُ الْعِبَادَ فِيهِ مُنْكَرٌ ❦ مَعَ نَكِيرٍ فِيهِمَا مُعْتَبِرٌ

الشرح:

- هذه أبيات تضمنت: ما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر وما يدخل فيه من المسائل، والإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان الستة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عمر بن الخطاب، وقد تقدمت الأدلة من القرآن على ثبوت هذا الركن، وله أسماء كثيرة منها: الساعة، والقيامة، ويوم الجمع، ويوم التغابن وغير ذلك من الأسماء.

(ثُمَّ يَلِيَّ إِيْمَانُنَا بِالْآخِرَةِ) أي: اليوم الآخر، وسميت بالآخرة؛ لأنه لا حياة بعدها، هي حياة أبدية إما في جنة النعيم، وإما في نار الجحيم، نسأل الله السلامة والعافية، (يَوْمٌ بِهِ الْأَهْوَالُ طُرًّا حَاضِرَةٌ) أهواله شديدة، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢]، وقال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُفُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣-٤٤]، وقال: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا

تَكَلَّمَ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿[هود:١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة:١-٥]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شدة ذلك اليوم.

(تَطِيرُ فِيهِ الصُّحُفُ وَالْكِتَابُ) إشارة إلى الإيمان بالصحف والكتب التي فيها أعمال العباد، وأدلتها كثيرة من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُومٌ أَفْرُؤُوا كِتَابِيَهُ﴾ [الحاقة:١٩]، وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَهُ﴾ [الحاقة:٢٥]، وقوله: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٤]، وهذه الكتب والصحف فيها أعمال العباد، ومنها قصة الرجل الذي يؤتى له بطاقة فيها (لا إله إلا الله) مقابل تسعة وتسعين سجلاً كلها مد البصر فيها ما يتعلق بذنوبه ومعاصيه، وكل مؤمن يأخذ كتابه بيمينه، وكل كافر يأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره، جمعاً بين الأدلة، **(ويُوضَعُ الْمِيزَانُ وَالْحِسَابُ)** يوضع الميزان وهو جرم عظيم له كفتان ولسان، توزن به أعمال العباد، والمراد باللسان: ما ينصب ويثبت ميزان أهل السنة والجماعة، وينكره المعتزلة والجهمية يقولون: أن من يحتاج إلى الميزان البقال والفوال وأما الله عز وجل فلا يحتاج له، فقولهم مردود؛ لأنه يخالف الأدلة، زد على ذلك: أن الله عز وجل وضع الموازين لإظهار عدله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ

خَرَدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وهو ميزان واحد وإنما جمعت الموازين لكثرة ما يوزن فيها، وتثقل الحسنات وتخف السيئات.

- والموزونات يوم القيامة ثلاثة:

الأول: العبد؛ لحديث ابن مسعود رضي الله عنه؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مِمَّ تَضَحَّكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، هُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ»^(١)،

الثاني: توزن الصحف؛ كما في حديث البطاقة حديث عبد الله بن عمرو في الترمذي: «فَتَوَضَّعُ السَّجَّاتُ فِي كَفَّةِ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةِ، فَطَاشَتِ السَّجَّاتُ وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»^(٢)،

الثالث: توزن الأعمال؛ لحديث أبي سلمة عند أحمد: «بَخِ بَخٍ، لِحُمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ، وَالِدَاهُ»^(٣)، وأيضاً حديث أبي هريرة رضي الله عنه في "الصحيحين": «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(٤).

- وهل يوزن الكافر؟

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٣٩٩١).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦٣٩).

(٣) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٨٠٧٦).

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٦٨٢).



الجواب: اختلف العلماء، ذهب بعضهم إلى: أنه لا يزن، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٥]، **والصحيح:** أنهم يوزنون ولا وزن لهم؛ **«إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»**^(١)، هذا هو الصحيح، **(وَالْحِسَابُ)** الحساب هو: ما يكون من حساب الله للعباد: أفعلت كذا؟ فالكافر قد ينكر، والمنافق قد ينكر، كما حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: **«فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي»**^(٢)، ولهم مواطن ينكرون فيها، وأما المؤمن يقرره بذنوبه فيعترف، قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتَرْهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُمَا عَلَيَّ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ»**^(٣).

- وأيضًا مما ثبت في ذلك اليوم: **(شَفَاعَةُ عَظْمِي)** وهي المقام المحمود، قال تعالى: **﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾** [الإسراء: ٧٩]، فثبت الشفاعة العظمى وهي محل اتفاق بين الطوائف، وإنما أنكر المبتدعة الشفاعة في أهل الكبائر، ويأتي الكلام عنها بإذن الله عز وجل، **(لِذَا الرَّسُولِ)** لمحمد

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٧٨٥).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٦- (٢٩٦٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٤٤١).

صلى الله عليه وسلم، (الألف واللام) للعهد الذهني؛ لأن الشفاعة العظمى لمحمد صلى الله عليه وسلم، كما في حديث فيأتون إلى آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى، وكل يعتذر ويقول: نفسي نفسي، فإذا جاءوا محمد صلى الله عليه وسلم قال: {يأتي آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى وعيسى وكل يعتذر ويقول نفسي نفسي: «فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الشَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ»^(١)، الحديث، وما تجدونه في الكتب: أنه مباشرة يقول: ربي أمتي أمتي هذا اختصار؛ لأن العلماء يريدون الرد على الخوارج والمعتزلة الذين ينكرون الشفاعة في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وإلا في الحديث بطوله يعني ذكر الشفاعة للفصل بين العباد: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، لكن الشفاعة في أهل الكبائر يأتي موطنها.

السبب فيها: - يعني في إظهارها - وتحديث العلماء بها: أن الخوارج والمعتزلة ينكرونها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٧١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

- والشفاعة شفاعات:

منها: الشفاعة في الدنيا؛ بالصلاة على الميت .

ومنها: الشفاعة لعكاشة بن محصن من النبي صلى الله عليه وسلم.

ومنها: شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم بفتح باب الجنة.

ومنها: الشفاعة في الفصل بين العباد وهذه الشفاعة العظمى.

ومنها: الشفاعة في رفع درجات المؤمنين.

وأيضاً: الشفاعة في أهل الكبائر؛ وهي من أشهر الشفاعات، ويأتي أدلتها

والكلام فيها.

(وَالْحَوْضُ وَالْكُوْتَرُ حُذْ مَنْقُولِي) وهو: حوض عظيم مسيرته شهر وزواياه

سواء، ماؤه أبيض من الثلج، وأحلى من العسل، وأبيض من اللبن، وهو موجود

الآن، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ مِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي، وَإِنَّ مَا بَيْنَ مِنْبَرِي**

وَبَيْنَ بَيْتِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»^(٢)، وقال: **«وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ فِي مَقَامِي**

هَذَا»^(٣)، وفي الحديث الصحيح: **«أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتُ سُورَةِ "فَقْرًا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ**

الرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْتَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ * إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٤٣٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (٩١٥٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن حبان حديث رقم: (٣٢٢٤) عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه.

[الكوثر: ١-٣]، ثُمَّ قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا الْكُوْثَرُ؟» فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آيَّتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ»^(١).

والفرق بين الحوض والكوثر:

- أن الحوض هو المكان الواسع الذي يجتمع فيه الماء في عرصات القيامة.
- والكوثر هو نهر يمد منه الحوض يمد منه الحوض يوم القيامة نهراً في الجنة
- ويتردد من الحوض المبتدعة وكذلك من باب أولى الكفار وبعض الظلمة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظَلْمِهِمْ، فَلَيْسَ مِنِّي، وَكَسْتُ مِنْهُ، وَلَا يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضُ»^(٢)، وينكره الخوارج والمعتزلة من إليهم، وأنكره عبید الله بن زياد، ناظره أنس بن مالك قال: (ما كنت أرى أن أعيش حتى أرى أمثالكم يتمارون في الحوض، لقد تركت عجائز خلفي ما تصلي امرأة منهن إلا سألت الله أن يسقيها من حوض النبي -صلى الله عليه وسلم-).

- وهل الحوض خاص بالنبي الله عليه وسلم أو هو عام؟

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٥٣-٤٠٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (٢٣٢٦٠) عن حذيفة رضي الله عنه.



الجواب: الصحيح: أنه خاص والنبى صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا يذكر العلماء في الخصائص صاحب الحوض والشفاعة وما جاء: (أن لكل نبي حوض) حديث ضعيف مرسل عن الحسن، ومراسيله رياح، (خُذْ مَنْثُوقِي) أي: الذي نقلته عن سبقي.

(وَرُؤْيَا الْجَبَّارِ يَوْمَ الْحَشْرِ) أيضًا تثبت رؤية المؤمن لربهم سبحانه وتعالى يوم الحشر، يرونهم في موطنين: الأول: في المحشر، والثاني: في الجنة. وهل يراه الكفار؟

ذهب بعض أهل العلم: أنهم يرونه وهو الصحيح، يرونه ثم يحتجب عنهم: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وإنما يكون الحجب بعد رؤية: ﴿وَجُوهُهُمْ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. وأيضًا كل أدلة اللقاء: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، كل أدلة اللقاء لا بد فيها من المعاينة كما نقل ذلك ابن خزيمة، وعليه ابن باز وشيخ الإسلام ابن تيمية وكثير من المتقدمين والمتأخرين.

وَيُرَىٰ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْعُلُوِّ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ الشَّمْسَ بِنِصْفِ النَّهَارِ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ سَحَابَةٌ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ سَحَابَةٌ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَرَوْنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، كَمَا لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهَا»^(١)، وهذا تمثيل

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٩٠٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الرؤيا بالرؤيا للمرء بالمرء؛ فإن الله ليس كمثله شيء، وَيَرَى وَلَا يَحَاطُ بِهِ؛ لأن المبتدع استدل بقول الله عز وجل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، نعم لا تدركه ولا تحيط به الإدراك، رؤيا وزيادة، وهي الإحاطة، فنفى الله عز وجل الإدراك وأثبت الرؤيا كما بين ذلك ابن القيم رحمه الله في غير ما كتاب، ورؤية الجبار يوم الحشر؛ لأنه لا يرى في الدنيا، قال النبي صلى الله عليه وسلم «وَأَنْتُمْ كُنْ تَرُونَ رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا»^(١).

- والناس في الرؤيا ثلاث:

منهم: من أثبتها في الدنيا والآخرة، وهذا قول الكفار من غلاة الصوفية، فيتخيلونه في سلمى وسعدة وليلي، وهكذا.

ومنهم: من نفاها في الدنيا والآخرة وهم كفار الجهمية ومن إليهم .

ومنهم: من أثبتها في الآخرة دون الدنيا، وهم أهل السنة جماعة.

(ثَابِتَةٌ بِالنَّصِّ) أي: من القرآن والسنة، (دُونَ نَكْرٍ) لا ينكره إلا مبتدع ضال مضل، قال الله عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم: (الزيادة) بالنظر إلى وجه الله عز وجل، وهذا يكون في الجنة.

(يَرَى تَعَالَىٰ فِي الْعُلَا كَالشَّمْسِ) ❀❀ أو قَمَرٍ يَبْدُو بِغَيْرِ لَبْسٍ): عن جابر رضي

الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرُونَ

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٢٢٧٦٤)، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

هَذَا الْقَمَرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»^(١).

(وَيَنْزِلُ الرَّبُّ إِلَى السَّمَاءِ) نزولاً يليق بجلاله، في الثلث الأخير من الليل، كما
في حديث أبي هريرة وأبي سعيد وجاء عن ثمانية وعشرين صحابياً، نسبة نزول
الرب سبحانه وتعالى نزولاً يليق بجلاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].
[ودخل القاضي عبد الجبار الهمداني أحد شيوخ المعتزلة على الصاحب
بن عباد، وعنده أبو إسحاق الإسفراييني المعروف بالأستاذ، وهو من أئمة
السنة، فلما رأى عبد الجبار الأستاذ الإسفراييني قال: سبحان من تنزه عن
الفحشاء. -أي: عن الإذن للفواحش بالوقوع، فهو يريد أن يقول له: إن
الفحشاء لا تقع بإذن الله-، فقال له: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء].
فأراد أن ينفي القدر بهذا.

[وذكر أحمد بن علي الأبار أن عبد الله بن طاهر - وهو أمير خراسان - قال
لإسحاق بن راهويه: يا أبا يعقوب! ما هذه الأحاديث التي تحدثون بها، إن الله
ينزل إلى السماء الدنيا؟ أهو ينزل ويصعد؟ فقال له إسحاق: تقول: إن الله يقدر
على أن ينزل ويصعد ولا يتحرك؟ قال: نعم..

وقال الفضيل بن عياض: إذا قال لك الجهمي: أنا أكفر برب ينزل ويصعد

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٥٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

فقل: وأنا أومن برب يفعل ما يشاء^(١)، فهو سبحانه وتعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

وليس معنى نزوله إلى السماء الدنيا: أنها تظله أي: تكون من فوقه أو تقفه وتحمله؛ لا، الله أعظم وأجل وأكبر: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والكرسي في العرش كحلقة في فلاة، ولكن نؤمن: أنه ينزل نزولاً يليق بجلاله مع أنه على عرشه بائن من خلقه؛ لأن صفة العلو صفة ماذا صفة ذاتية أزلية أبدية، وهذه صفات أفعال، لكن نؤمن أنه ينزل، والدليل: قال صلى الله عليه وسلم: «يُنزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»^(٢)، وقال صلى الله عليه وسلم: «يُنزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، حَتَّى يَنْفَجَرَ الصُّبْحُ»^(٣)، فمن زعم: أن النازل ملك، أو النازل: الأمر، كيف يكون لأمر أو ملك؟! يقول للناس هكذا، ومن قال: بأن النازل الرحمة، نقول: أن قلت الرحمة تنزل والمراد بها الصفة فنزول الصفة لزم منه نزول الموصوف، وإن قلت: بأن الرحمة النازلة هي الرحمة المخلوقة، هذا قول باطل، كيف المخلوقة تقول: من يدعوني من

(١) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للألكائي (٩/٢٨). ط. موقع الشبكة الإسلامية.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (١١٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن حبان حديث رقم: (٢١٢) عن عرابة الجهني رضي الله عنه.

يسألني من يستغفري؟! لا أسأل عن عبادي غيري؟ ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **(يُنزَلُ رَبِّنَا)** في أحاديث كثيرة، لو كان النازل أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته لقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نزل ملك من ملائكة الله) كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»** (١).

- وأما القول: بأنه الأمر لا فائدة للعباد في نزول الأمر إلى السماء إنما الأوامر تنزل إلى الأرض ويكون ما أمر الله به، فينزل الرب إلى السماء **(بِغَيْرِ كَيْفٍ)** نزول يليق بجلاله؛ لأن الكيف مجهول **(جَلٌّ)** تنزهه وتقدس وعلا وعظم **(في العُلَيَاءِ)** في العلو، وهذه الصفة إنما أضيفت وليس هذا موطنها لكن من باب الفائدة.

(وَالْجِسْرُ مَمْدُودٌ عَلَىٰ جَهَنَّمَ * * * فَمِنْ مُكْرَدَسٍ وَمِنْ مُسَلِّمٍ) الجسر هو: الصراط الممدود على جهنم؛ لأن الصراط ينقسم إلى قسمين:
الأول: صراط حسي، وهو: الجسر الممدود على متن جهنم.
الثاني: صراط معنوي، وهو: الإسلام.

فمن استقام على الصراط المعنوي استقام على الصراط الحسي، ومن أعوج على الصراط المعنوي أعوج عن الحسي، والجسر إنما يجوزه

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٤٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

المؤمنون، وأما الكافرون فيتقاعدون إلى النار تقاعد الفراش: **«فَقَالُوا: عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيَسَّارُ أَلَّا تَرِدُونَ فَيَحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهُمْ سَرَابٌ يُحِطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَسَّاقُطُونَ فِي النَّارِ»**^(١)، والمنافقون يعلونه ثم تنطفئ أنوارهم فإذا أرادوا الرجوع سقطوا في جهنم كما قال الله عز وجل: **«يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ»** [الحديد: ١٣-١٤]، وجاء من أوصافه: أنه دحض مزل عليه خطاطيف وكلايب، حسك مثل شوك السعدان، وجاء في وصفه: أن الناس المؤمنين منهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالخيل، ومنهم من يمر كالمح البصر، ومنهم من يجري جرياً، ومنهم من يحبو حبواً، وأحاديثه في "الصحيحين" وغيرها، قال الله عز وجل: **«وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا»** [مريم: ٧١]، يدل على ذلك.

(وَالْجِسْرُ مَمْدُودٌ عَلَىٰ جَهَنَّمَ ** فَمِنْ مُكَرَّدَسٍ) يعني: يلقى في جهنم على وجه **(وَمِنْ مُسَلِّمٍ)** بعد أن يجرح عليه خطاطيف وكلايب وحشك مثل شوك السعدان فيصيب من شاء الله من المؤمنين بسبب ذنوبهم ومعاصيهم من أراد أن

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٥٨١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

يعذبهم، منهم من يصير في النار كالفحم ميتاً، ومنهم يبقى يتعذب حتى يأتيه الملائكة يخرجونه بشفاعة الشافعين وبرحمة رب العالمين سبحانه وتعالى.

(يَا رَبَّنَا رُحْمَاكَ إِنِّي مُذْنِبٌ * * * مُقَصِّرٌ مُسْتَغْفِرٌ وَتَائِبٌ) هذا بيت جيء به عارضاً مناسباً للمكان؛ لما تكلم عن أهوال الآخرة دعا لنفسه وللقارئ أيضاً وللسامع بالرحمة: (يَا رَبَّنَا رُحْمَاكَ) أي: من هذه الأهوال العظيمة والشدائد الجسيمة التي لن ينجو منها إلا من سلمته وغنمته، (إِنِّي مُذْنِبٌ) كثير الذنوب والمعاصي إما بقلبي أو بلساني أو بجوارحي، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيما يرويه عن ربه عز وجل: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»^(١)، (مُقَصِّرٌ) في الواجبات، (مُسْتَغْفِرٌ) أي: لفعلي للمعاصي والسيئات، (وَتَائِبٌ) أي: راجع إليك من كل فعل خالفت فيه الشرع الحنيف.

ثم قال: (عَذَابٌ قَبْرٍ فِتْنَةٌ مَعَ صَمَّةٍ) يعني: ألم نتكلم عن اليوم الآخر وكان القبر من أوائل شأن اليوم الآخر، كما في حديث عثمان: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ»^(٢)، والكلام عنه يدخل في هذا الباب أن يتكلم عنه ردّاً على أهل البدع وبياناً لعقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب، عذاب قبر لمستحقه من الكافرين ومن عصاة المسلمين قال الله عز وجل: ﴿التَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٥٥-٢٥٧٧) عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٤٢٦٧).

وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿غافر: ٤٦﴾، وأدلته

كثيرة في الكتاب والسنة ذكرت منها في كتابي: "تنبيه أولي الأبصار لما في القبر

من النعيم والعذاب والرد على الرافضة الأشرار" أكثر من أربعة عشر موطنًا

استدل بها العلماء على ذلك، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ

لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]، وقال الله عز وجل:

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ * فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ

أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ

الضَّالِّينَ * فَتَزُلُّ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٤]، هذه بشأن القبر

نعيمًا وعذابًا كما ذكر ذلك ابن رجب في أهوال القبور وغيره من أهل العلم،

وأما الأحاديث فهي متواترة لفظًا، ومعنى فكم يستعيز النبي صلى الله عليه

وسلم من فتنة القبر وعذاب القبر ومن أصلح ذلك وأوضحه حديث البراء بن

عازب الطويل فتنة أيضًا في القبر فتنة وهي السؤال: من ربك؟ وما دينك؟ من

نيك؟ فيسأل جميع المكلفين ما عد أربع أصناف:

الأول: (الأنبياء)؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ: فَبِي

تُفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ»^(١).

الثاني: (الشهداء)؛ فعَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٢٥٠٨٩) عن عائشة رضي الله عنها.



إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»^(١).

الثالث: (المرابطون)؛ قال النبي الله عليه وسلم كما في حديث سلمان عند مسلم وجاء عن غيره: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَكَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفِتَانَ»^(٢)،

- وزاد بعض أهل العلم: (الصادقون)؛ لأنهم أفضل من الشهداء إجماعاً.

(مَعَ ضَمَّةٍ) الصحيح؛ أنه لا ينجو منها إلا الأنبياء صلوات الله عليهم مع أن جمهور العلماء يرون أنها جارية حتى على الأنبياء، لكن الصحيح: أنها لا تجري على الأنبياء؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لِلْقَبْرِ ضَغْطَةٌ لَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ، لَنَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»^(٣)، فلو كان الأنبياء يضمنون لقال: (لنجوت منها أنا)، لكن دل هذا على أن الأنبياء لا يضمنون، وهذه الضمة تجد بعضهم يقول: ضمة الأرض للمؤمن كضمة الأم الحنون، ما هناك أم حنون؟ ولا هناك إلا ضمة شديدة نسأل الله العافية، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في شأن سعد بن معاذ: «لَقَدْ ضَمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ»^(٤)، فكلمة (فُرِّجَ عَنْهُ) تدل على أنها ضمة شديدة، وهي من الكفارات، فكل هذه الأمور التي تلحق المؤمنين في قبورهم في نزعاتهم في أهوال القيامة كفارات لهم.

(١) أخرجه النسائي حديث رقم: (٢٠٥٣).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٦٣- (١٩١٣).

(٣) أخرجه ابن حبان حديث رقم: (٣١١٢) عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه النسائي حديث رقم: (٢٠٥٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(أَرْوَاحُ أَبْرَارٍ طَرِيقُ الْجَنَّةِ) هذا هو الصحيح في هذه المسألة؛ لأن العلماء اختلفوا فتجد بعضهم يقول: أرواح المؤمنين في زمزم، والآخر يقول: أرواح الكافرين في برهوت، ومن هذه الأقوال الكثيرة، لكن الصحيح الذي دلت عليه الأدلة: أن أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكافرين في النار، قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه: «إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فِي طَيْرِ خُضْرٍ، تَعْلُقُ بِشَجَرِ الْجَنَّةِ»^(١)، هذه أرواح المؤمنين، وأما أرواح الشهداء قال: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرِ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ»^(٢).

(وَيَسْأَلُ الْعِبَادَ فِيهِ مُنْكَرٌ) أي: يسأل العباد في القبر منكر (مَعَ نَكِيرٍ) ودليلها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الترمذي: «أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ»^(٣)، (فِيهِمَا مُعْتَبَرٌ) أي: عبرة لمن تفكر في شدة هذه الأحوال التي لن يسلم منها إلا من سلمه الله، والله المستعان.

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (١٤٤٩).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٢١- (١٨٨٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٠٧١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال رحمه الله:

- | | | | |
|-----|--|---|--|
| ٨٨- | سَادِسُهَا الْإِيْمَانُ بِالْأَقْدَارِ | ✿ | مَا كَانَ فِي الْأَبْرَارِ وَالْفَجَّارِ |
| ٨٩- | جَمِيعُهَا مَخْلُوقَةٌ لِرَبِّي | ✿ | فَحَقَّقِ الْحَقَّ وَقُلْ لِي حَسْبِي |
| ٩٠- | مَرَاتِبُ الْأَقْدَارِ فِيهَا أَرْبَعُ | ✿ | قَدْ حَقَّقُوهَا قَبْلَ ذَا فَلْتَسْمَعُوا |
| ٩١- | عِلْمٌ كِتَابَةٌ لَهُ تَعَالَى | ✿ | مَشِيئَةٌ خَلْقٌ بِذَا قَدْ قَالَا |

الشرح:

- هذا تتممة للكلام على ما يتعلق بمراتب الدين، وقد عرفنا أن الدين ينقسم

إلى أقسام:

١- الإسلام.

٢- والإيمان.

٣- والإحسان.

ثم تكلم عن أركان الإسلام بتفاصيلها، ثم تكلم عن الإيمان بتفاصيلها،

وكان الركن السادس هو: الإيمان بالقدر خيره وشره من الله، والقدر هو: علم

الله وسره، لم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا.

- وقد اختلف الناس في القدر إلى ثلاث أقسام:

القسم الأول: قدرية جبرية.

الثاني: قدرية نفاة.

الثالث: أهل السنة والجماعة.

- أما مذهب القدرية الجبرية؛ فزعموا أن الإنسان كالريش في مهب الريح أو كالميت بين يدي المغسل، وأن الفاعل حقيقة للخير أو الشر هو الله بل وصوغوا فعل المنكرات حتى قال بعضهم:

أصبحت منفعلًا لما يتابني ❀❀ منه ففعلي كله طاعات
 وحين ووجهوا بالأحاديث والآيات التي فيها العذاب على أصحاب
 المعاصي والسيئات ذهبوا إلى طريقة سيئة لم يوافقوا عليها فجوزوا الله عز وجل
 أن يعذب من لا يذنب، وهذا هو الظلم؛ حتى قال السفاريني رحمه الله وهذه من
 زلاته العظام:

وجاز للمولى يعذب الوري ❀❀ من غير ما ذنب ولا جرم جرى

- القسم الثاني النفاة: وهم المعتزلة؛ الذي عطلوا الله من صفاته فزعموا:
 أنه لم يخلق أفعال العباد بل زعم غلاتهم: أنه لم يعلمها، وقالوا: لم يشأها أيضًا،
 ومن باب أولى أنه لم يكتبها، فخالفوا أهل السنة والجماعة وذهبوا إلى البدعة
 الشنعاء، وقد كفر غلاتهم عبد الله بن عمر رضي الله عنه كما في أول صحيح في
 "صحيح مسلم": "فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنََّّهُمْ بُرَاءٌ
 مِنِّي"، وَالَّذِي يَخْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ "لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ
 مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ" (١).

- وقال الشافعي وعمر بن عبد العزيز: (ناظروا القدرية بالعلم، فإن

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ١- (٨).

أَقْرُوا بِهِ خُصْمُوا، وَإِنْ أَنْكَرُوا كَفَرُوا).

- **وأما أهل السنة والجماعة؛** فمذهبهم: أن الله عز وجل قد علم جميع أعمال العباد، وأنه هو الذي خلقها إلا أنهم قسموا الإرادة إلى قسمين وركزوا؛ لأن سبب ضلال الجبرية وسبب ضلال المعتزلة أنهم: جعلوا الإرادة شيء واحد، وأهل السنة والجماعة عندهم إرادة تنقسم إلى قسمين: **الأولى:** (إرادة كونية قدر)؛ وهذه تكون في المحبوب وغير المحبوب، مثل: الصلاة محبوبة إلى الله عز وجل، ومثل الزنا غير محبوب إلى الله عز وجل، لكن لماذا خلق الصلاة وخلق الزنا؟ خلق الزنا للاختبار والابتلاء، والعبد لا يعلم أن الزنا قد كتب عليه إلا إذا عملهُ فلا احتجاج بالقدر في هذا.

لكن نحن نريد أن نتوصل إلى أن الإرادة تنقسم إلى قسمين:

الأولى: (إرادة كونية) وهذه لا بد أن تقع، وتكون في المحبوب وغير محبوب وتجتمع مع الإرادة الشرعية في حق المؤمن وتفترقان في حق العاصي.
النوع الثاني: (الإرادة الشرعية)؛ ولا تكون إلا في المحبوب، وقد تقع وقد لا تقع، وسيأتي الكلام على مراتب القدر، أتفق الجبرية والمعتزلة على شيء واحد ما هو اتفقوا على أن الإرادة هي محبوب الله عز وجل لا يريد الله عز وجل شيئاً إلا إذا كان يحبه، لكن أهل السنة هل هو على هذا ليسوا على هذا أهل السنة أن المراد منه: محبوب وغير محبوب لا سيما المراد القدر الكوني، أما الجبرية والمعتزلة فاتفقوا على أن المراد لله عز وجل لا بد أن يكون محبوباً

أكلتم على هذه ننتقل إلى غيرها هذه تسمى المقدم، اتفقوا في المقدمة أتباع جهنم بن صفوان وأتباع عمرو بن عبيد بن باب: من أن إرادة الله عز وجل لا تكون إلا للمحبوب، ما هي النتيجة لهذه؟ المقدم النتيجة: أن الجبرية قالوا: كل ما يقوم به العباد من خير أو شر من بر أو ظلم هذا محبوب إلى الله للمقدمة الأولى: أن الإرادة لا تكون إلا في المحبوب، وما الذي جرى على المعتزلة؟ المعتزلة قالوا: نحن ننزه الله عن الظلم، ننزه الله عز وجل أن يحب الشر: الزنا، والفسوق، والقتل وغير ذلك، إذا الله عز وجل لم يقدر هذه الأشياء، يتفقوا في المقدمة واختلفوا في النتيجة وكلهم على ضلال، بينما أهل السنة قالوا: المراد الكوني منه محبوب، ومنه غير محبوب، والمراد الشرعي لا بد أن يكون في المحبوب، وأفعال العباد خلقها الله عز وجل سواء منها المحبوب أو غير المحبوب، وقبل ذلك: علمها وكتبتها وشاءها كما ستأتي في مراتب القدر الأربع.

(سادسها) أي سادس الأركان: (الإيمان بالأقدار) الإيمان بالقدر خيره وشره، والقدر مأخوذ من التقدير تقدير الأشياء من حيث خلقها وتكوينها وأرزاقها وأعمالها وجميع شأنها: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، (مَا كَانَ فِي الْأَبْرَارِ) أي: فعل الأبرار كالصلاة، والصيام، والحج، والقيام وغير ذلك من الطاعات والمبرات، (وَالْفَجَّارِ) من الكفر، والفسوق، والعصيان، وتعاطي الحرام.

(جميعها مخلوقة لربي) جميعها؛ لأن الله عز وجل يقول الله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ

﴿شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١]، خلق إبليس وهو رأس الشر، وقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]، سيأتي مخلوقة لربي، (فَحَقِّقِ الْحَقَّ) يعني: حقق وأعتقد وأكد هذه المسألة العظيمة الحق في باب الإيمان والقدر، (وَقُلْ لِي حَسْبِيَ) أي: لا تزدني في هذا الباب لماذا؟ لأن الزيادة في هذا الباب والتعمق في هذا الباب قد تجر إلى الحيرة؛ ولذلك قالوا: أعلم الناس بالقدر أكثرهم فيه حيرة؛ لأنه يجرجرهم، لماذا وفق الله فلان ولم يوفق فلان؟! ستأتي بإجابة لماذا إذا خلقه الله عز وجل وهو يعلم أنه سيفعل هذه الشرور؟ لماذا يعذبه الله عز وجل والله عز وجل هو الذي قد خلق له هذه الأعمال؟ إلى غير ذلك، فلا تنقب ولا تتعمق ولكن تؤمن بأن القدر خيره وشره من الله والله حكم في كل ما يخلق ويوجد: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢].

خلق إبليس مع علمه بفساده لكن تحققت مصالح كثيرة بسببه أهبط آدم من الجنة، وبسببه أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، وشُرع الجهاد، ووضعت شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة وغير ذلك.

ثم قال: (مَرَاتِبُ الْأَقْدَارِ فِيهَا أَرْبَعُ) هذي المراتب الأربع هي حقيقة الإيمان بالقدر، فمن قال لك: أنا أو من بالقدر فإن الله قدر على العباد، لكن أنا ما أو من بالعلم أن الله علمها قبل نقول أنت ما أمنت بالقدر أو قال: ما أو من بالكتابة أو قال: ما أو من بالمشيئة، أو قال: ما أو من بالخلق لا بد لتحقيق الإيمان بالقدر تحقيق هذه المراتب الأربع مراتب الأقدار فيها أربع، أي: أربع مراتب قد

حقوقها أي: أهل السنة والجماعة وبينوها في كتبهم ومصنفاتهم قبل هذا النظم، فلتسمعوا لهذه المراتب الأربع وعليكم بحفظها وحفظ أدلتها؛ لأن هذه المراتب من علمها علم الخير العظيم في هذا الباب، قال الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وقال الله عز وجل: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فالله بكل شيء عليم من السابقات واللاحقات من الظاهرات والمستورات؛ ولذلك قال الله في نفسه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣]، الغيب ما غاب عن الأعين والشهادة ما شاهد في الأعين، وقال الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، فمن أنكر علم الله كفر والعجيب أن المعتزلة لما كفر أهل العلم من زعم أن الله لا يعلم جاءوا بدعة جديدة، ما هي هذه البدعة؟ قالوا: الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات، وهذه بدعة من حيث هي ثم: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ وقال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ﴾ [الأنعام: ٥٩]، هذه جزئيات ولا كليات البر هذا الذي أمامكم، وفيه ما فيه من الناس والبشر والسيارات والحجارة والأشجار والبيوت والمسكن وغير ذلك مما ترونه، هذه جزئيات أم كليات؟ جزئيات، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، من حيوانه وأشجاره وأوديته وعن كل ما فيه: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ

وَرَقَّةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ ﴿[الأنعام: ٥٩]﴾، كل هذه جزئيات، ثم أيضًا: ما من شيء في هذا العالم إلا هو جزئي، هذا الرد الثاني؛ لأن الكلي يكون في الذهن، الكلي يكون في الذهن حياة هذا كلي: حياة، علم، قوة، إرادة وجود لكن إذا خرج من الذهن يقيد: علم زيد، علم الله قوة زيد، قوة الفيل، قوة البعوضة، فيخرج من الذهن ويكون جزئي، فمن عقيدة أهل السنة: أن الله بكل شيء عليم، وبكل شيء محيط، لا تخفى عليه خافية،

(كِتَابَةٌ) هذه المرتبة الثانية: أن الله كتب مقادير الخلائق، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]، وقال: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [التغابن: ١١]، وقال: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، أو ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(١)، وفي حديث عبد الله بن عمرو: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَعَرَّضَهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٢)، **(مَشِيئَةٌ)** فكتب أعمال العباد في اللوح المحفوظ بمشيئة: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وهذه هي المرتبة الثالثة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٧٠٠) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٦- (٢٦٥٣).

اَفْتَتَلُوا﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، الإرادة هنا بمعنى: المشيئة، أما المراد الشرعي: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٨]، فهذه لا تراد في المشيئة ما من شيء يقع في هذا العالم من خير أو شر إلا وشاءه الله.

- وَرُوي أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ عَمْرَو بْنَ عُبيدٍ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ نَاقَتِي سُرِقَتْ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُرَدِّهَا عَلَيَّ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ نَاقَةَ هَذَا الْفَقِيرِ سُرِقَتْ، وَلَمْ تَرُدْ سَرِقَتَهَا، اللَّهُمَّ ارْزُدْهَا عَلَيَّ» فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا شَيْخُ، الْآنَ ذَهَبَتْ نَاقَتِي وَأَيْسْتُ مِنْهَا قَالَ: «وَكَيْفَ؟» قَالَ: لِأَنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ لَا تُسْرَقَ فَسُرِقَتْ، لَمْ آمَنْ أَنْ يُرِيدَ رُجُوعَهَا فَلَا تَرْجِعْ، وَنَهَضَ مِنْ عِنْدِهِ مُنْصَرِفًا^(١)، هذه فطرة الأعراب.

(خَلَقٌ) هذه المرتبة الرابعة: الخلق، قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، و(كل) من ألفاظ العموم، والعجيب: أن المعتزلة أخرجوا أفعال العباد من هذا العموم بمعنى: (الله كل شيء)، قالوا: أفعال العباد يخلقها العباد أنفسهم، وقالوا: القرآن مخلوق، أدخلوا صفة الله في العموم وأخرجوا المخلوقات من العموم، قال الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]، أي: والذي تعملونه، وفي حديث حذيفة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنَعَتَهُ»^(٢)، إلى

(١) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للألكائي (٤/ ٨١٦).

(٢) أخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" حديث رقم: (١٨).



غير ذلك؛ لذا قد قال الله عز وجل، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم.

والقدرية يُسمون بمجوس هذه الأمة لماذا؟ لأن المجوس زعموا أن للكون خالقين: النور، والظلمة، وهؤلاء زعموا: أن كل عبد يخلق فعل نفسه فأثبتوا خالقين كثير مع الله سبحانه وتعالى، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

- **ثم من باب الفائدة:** هل يجوز الاحتجاج بالقدر؟ **نقول:** لا يجوز؛ لأن

الإنسان لا يعلم بالقدر إلا بعد وقوعه، أما قبل وقوعه إنما يعلم بالشرع، حرم الله الزنا إذاً عليك أن تجتنب الزنا، فلا تذهب إلى الزنا وتقول: كتبه الله عليّ وقدره، هل أنت عالم به قبل أن تأتبه؟ قال: لا، إذاً كيف تستدل على شيء لم تكن عالمًا به بينما أنت تعلم أن الله نهى عنه وحرمه، وهل الإنسان أن يحتج بالقدر بعد توبته أو في المصائب، يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون؟ يعني: الله عز وجل هو الذي كتب هذا وقدره؟

أما إذا كان على سبيل التبجح فلا يجوز، وسبب ضلال الجبرية: أنهم أخذوا أدلة إثبات القدر وتركوا أدلة التنزيه والنفي، وسبب ضلال القدرية: أنهم أخذوا التنزيه وتركوا الإثبات وسبب هداية أهل السنة والجماعة أنهم جمعوا بين الأدلة، وقد تجد في الأدلة ما يدل على فساد مذهبهم، مثلاً: الجبرية يستدلون على أن الله عز وجل هو الذي فعل هذه الأفعال التي يتعاطاها العباد، ويستدلون بمثل قول الله عز وجل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، وهذه الآية ردٌ عليهم؛ فالله عز وجل يقول: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ أثبت لمحمد صلى

الله عليه وسلم الرمي؛ ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ أثبت له الرمي مرة ثانية، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ أي: سدد، فهم جعلوا الرمي هنا: كل شيء واحد، وأن الرمي هو إطلاق الحجرة؛ لا، ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمد لم تسدد يا محمد حين رميت الحجر أو التراب أو الحصى، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾: هو الذي سدد وأصاب، فنحن نثبت لله عز وجل: مشيئةً، وخلقاً، وفعلاً، كما نثبت للعبد: مشيئةً وخلقاً، وفعلاً.

- وأما الجبرية فيعطلون العبد من مشيئته وفعله، والنفاة يعطلون الله عز وجل من خلقه ومشيئته وفعله.

- **والوسط:** أن تكون بين ضلالتين لا سيما في هذا الباب الذي ضلَّ فيه كثير من أهل البدع، والأشاعرة سلكوا مسلكاً ثالثاً، وهو في الأصل جهمية جبرية، إلا أنهم قالوا بمسألة الكسب، فمسألة الكسب هذا يعني: من مما لا حقيقة له اتخذوه اصطلاحاً، ويريدون به التوصل إلى مذهب الجبرية، فقالوا: للعبد كسب، فقيل لهم: ما معنى للعبد كسب؟ هل له فعل؟ هل له مشيئة؟ قالوا: لا له كسب، والفاعل جعلوه كالآلة، مثلاً: آلة السكين، يقال له: هذه الدجاجة ذبحها السكين وحدها أم هناك محرك للآلة؟ هناك محرك للآلة، هو الذابح، فهم جعلوا العبد يتعاطى الفعل لكن له الكسب، والفعل لله له الكسب، والفعل لله فوافقوا الجبرية إنما مجمجوا في هذه هذا تعليق مختصر على مسألة الإيمان بالقدر.

أشراط الساعة وما يتعلق بها

قوله: (أشراط الساعة وما يتعلق بها): الشرط: العلامة، وأشراط الساعة

تنقسم إلى قسمين:

١- أشراط كبرى.

٢- وأشراط صغرى.

- قال الله وجل: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:١٨]، وفي حديث جبريل عليه

السلام، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ بِهَا مِنَ السَّائِلِ»

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. أي: عن علاماتها.

قال رحمه الله:

- | | | | |
|------|--|---|--|
| ٩٢- | وَمِنْهُ إِيمَانُ بِشَرْطِ السَّاعَةِ | ✿ | صُغْرَى وَكُبْرَى رَبِّ أَصْلِحْ حَالَتِي |
| ٩٣- | مِنْهَا أَحْيِي بَعْثَةُ النَّبِيِّ | ✿ | وَفَتْحُ قُدْسٍ وَالْبِنَا الْعَلِيِّ |
| ٩٤- | خُرُوجُ مَهْدِيٍّ بِقُرْبِ السَّاعَةِ | ✿ | يُقِيمُ عَدْلًا رِفْعَةُ الْجَمَاعَةِ |
| ٩٥- | وَيَخْرُجُ الدَّجَالُ رَأْسَ الشَّرِّ | ✿ | يَدْعُو الْعِبَادَ لِسَبِيلِ الْكُفْرِ |
| ٩٦- | يَقْتُلُهُ الْمَسِيحُ عَيْسَى ذُو الْهُدَى | ✿ | بِبَابِ لُدٍّ نَصُّ قَوْلِ أَحْمَدَا |
| ٩٧- | وَبَعْدَهَا يَأْتِي الرَّدِّيُّ يَأْجُوجُ | ✿ | شَرُّ عَرِيضٍ مَعَهُمْ مَا أَجُوجُ |
| ٩٨- | وَبَعْدَهُ طُلُوعُ شَمْسِ الْمَغْرِبِ | ✿ | لَا يَنْفَعُ الْإِيمَانَ ذَا مَنْ تَأْتِبِ |
| ٩٩- | وَبَعْدَهَا ظُهُورُ أَمْرٍ ذِي جَلَلٍ | ✿ | دُوبِيَّةُ الْأَرْضِ تَمِيْزُ ذَا حَطَلٍ |
| ١٠٠- | عَنْ مُؤْمِنٍ وَصَاحِبِ الْإِحْسَانِ | ✿ | قُبْحًا لِأَهْلِ الشُّرْكِ وَالْكَفْرَانِ |

- يقول في هذا الباب: (وَمِنْهُ) أي: مما يؤمن به ويعتقد، (إِيمَانٌ) إقرارنا، (بِشَرْطِ السَّاعَةِ) بشروط الساعة الصغرى والكبرى، (رَبِّ أَصْلِحْ حَالَتِي) أي: الإيمانية والعلمية والعملية، وهكذا يدخل فيها: إصلاح الحالة البدنية؛ لأن الإنسان إذا أصلح الله عز وجل شأنه بورك فيه، وبورك في قليله وكثيره.

(مِنْهَا) أي: من هذه الأشراف، (أَخِيَّ) يا أخي، (بِعَثَّةِ النَّبِيِّ) صلى الله عليه وسلم، كما في حديث أنس وغيره: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»^(١)، (وَفَتَحَ قُدْسِي) فتح بيت المقدس، وكان في عهد عمر رضي الله عنه، هذا من الإمارات الصغرى كما ترى، (وَالْبِنَاءَ الْعَلِيِّ) يتناولون في البنين، سواءً كان التناول في الهيئات أو كان التناول بالارتفاع، فكله الآن موجود، رُبَّ بَيْتٍ صَغِيرٍ أَوْ فِلَةٍ بَيْنَهَا أَحَدُهُمْ صَغِيرَةٌ لَكِنَّهَا فِيهَا مِنَ التَّوَالٍ فِي رَسُومَاتِهَا وَأَثَانِهَا الشَّيْءُ الْكَثِيرُ، وَرُبَّ بِنَاءٍ يَبْنِي إِلَى أَعَالِي السَّمَاءِ؛ حَتَّى أَنَّهُمْ أَوْصَلُوا فِي بَعْضِهَا إِلَى مِئَةِ وَأَرْبَعِينَ دُورًا، أَوْ إِلَى مِئَةِ وَسِتِّينَ طَابِقًا، يَعْنِي: أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ كِيلُو مِترٍ فِي بَعْضِ الْمَنَاطِقِ، وَبَعْضُ الْأَبْنِيَةِ قَرِيبٌ مِنْ نِصْفِ كِيلُو مِترٍ؛ لِارْتِفَاعِهَا وَعُلُوِّهَا.

(خُرُوجَ مَهْدِيٍّ) واسمه: محمد بن عبد الله، يصلحه الله في ليلة، (بِقُرْبِ السَّاعَةِ) أيضًا هذه من العلامات الكبرى، (يُقِيمُ عَدْلًا) يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلماً وجورًا، (رِفْعَةَ الْجَمَاعَةِ) يرتفع في عهده أهل السنة

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٤٣- (٨٦٧).

والجماعة بنصر الله عز وجل لهم وبإعزاز الله عز وجل لهم، وأيضاً ينزل عيسى بن مريم في أواخر عهده، وبعد قتل الدجال تقع الأمانة العظيمة والفتح الكبير للمؤمنين والمؤمنات، ولا نقول "المهدي المنتظر" كما يقول الرافضة؛ لأن أولئك وسموا مهدياً لهم في سرداب ينتظرون خروجه ويظنون أن لا قيام بأعمال الدين الظاهرة مثل: الحج، والعمرة، والجهاد، والعيد، والجمعة، والجماعة إلا معه.

(وَيَخْرُجُ الدَّجَالُ) رجل من اليهود من بني آدم على الصحيح، **(رَأْسُ الشَّرِّ)** لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ»**^(١)، وقال صلى الله عليه وسلم: **«مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ»**^(٢)، ويمكث في الأرض: **«أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ»**^(٣)، **(يَدْعُو الْعِبَادَ لِسَبِيلِ الْكُفْرِ)** يدعو العباد إلى الكفر بالله، ويذكرون: أنه يبدأ بادعاء النبوة، ثم يدعي الربوبية، وقد شوه الله عز وجل خلخته كما شوه خلقه، ويخرج من قبل المشرق ينصره اليهود والكلام فيه كثير، أطول حديث ما ذكره الإمام مسلم في "صحيحه" عن النواس بن سمعان، وأطول منه حديث أبي أمامة عند ابن ماجه لكنه ضعيف، وقد كتبت

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٢٦- (٢٩٤٦).

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (٢٥٠٨٩).

(٣) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٣٢١).

فيه رسالة مستقلة.

(يَقْتُلُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى) المسيح ابن مريم؛ لأن هذا المسيح الدجال وذاك المسيح عيسى، فيقولون: مسيح الضلالة، ومسيح الهدى، يقتله المسيح ابن مريم، (ذُو الْهُدَى) يعني: لأنه يدعو إلى الهدى، (بِبَابِ لُدٍّ) ينزل عند المنارة البيضاء شرق دمشق، ويلحقه بباب لد في فلسطين، (نَصُّ قَوْلِ أَحْمَدَا) أي: بنص الحديث في حديث النعمان بن بشير أو في غيره.

(وَبَعْدَهَا) بعد هذه الفتن العظيمة: خروج الدجال، وإهلاك الدجال، بينما المسلمون مع عيسى إذ أوحى الله إليه أن حرز عبادي إلى الطور، (يَأْتِي الرَّدَى يَأْجُوجُ) قوم يأجوج ومأجوج الذين جعل ذو القرنين بينهم وبين الناس سدًّا لا يخرجون إليهم، وهم خلق كثير (شَرُّ عَرِيضٍ مَعَهُمْ مَأْجُوجُ) مجرمون؛ حتى أن الله عز وجل يوم القيامة يجعل للنار من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومن هذه الأمة ينجو واحد إلى الجنة، ويخرجون ينسلون يجرون جريًّا ويهرعون، وعندهم كِبْرٌ وغطرسه، ويشربون الماء، ثم يرمون بحرابهم إلى السماء ويقولون: انتهينا من أهل الأرض وبقي أهل السماء، فعند ذلك يرغب ابن مريم عليه السلام من الله في قتلهم فيسلط عليهم النغف يخرج في أعناقهم فيصبحون موتى كنفس واحدة، ثم يدعون الله عز وجل برفعهم فيرسل الله عز وجل عليهم طيرًا كأمثال أعناق البخت تأخذهم إلى البحر حيث أراد الله عز وجل، ثم يرسل الله عز وجل ريحًا أو مطرًا لا يكن بيت حجر ولا وبر إلا دخله

من ذلك المطر، فتصبح الأرض زلقة، ثم توضع البركات في الأرض ويرعى الذئب مع الغنم، ويلعب الطفل بالحيات، ويرعى الأسد مع البقر إلى غير ذلك مما هو مذكور في موطنه.

(وَبَعْدَهُ طُلُوعُ شَمْسِ الْمَغْرِبِ) أي: من علامات الكبرى: طلوع الشمس من المغرب، فإذا طلعت من المغرب آمن الناس كلهم أجمعون ولكن: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وكل هذه الآيات ثابتة بأحاديث متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أراد التوسع في هذه المسألة يعود إلى "البداية والنهاية" لابن كثير، وهكذا "التذكرة" للقرطبي وغير ذلك من الكتب المطولة والمختصرة المتضمنة لهذه الأشياء.

- وهل تستمر طالعة من المغرب كل يوم؟

لا إنما هي مرة واحدة تطلع من المغرب، ولا يلزم أنها تستمر إلى أن تغرب من المشرق، وإنما تطلع من المغرب كآية من آيات الله تعلم بها قيام الساعة، واختلفوا أيهما قبل طلوع الشمس من مغربها أو الدابة؟ فالذي يظهر: أن الدابة بعد طلوع الشمس؛ لما يأتي، **(لَا يَنْفَعُ الْإِيْمَانُ ذَا مِنْ تَائِبٍ)** اختلفوا أيضًا هل لا ينفعهم الإيمان مطلقًا أم لا ينفعهم الإيمان في ذلك الوقت؛ لأن الناس الآن حين يسمع موعظة أو يحصل عليه هول ربما تجد منه توبة، وبعد أيام إذا ترك في شأنه يعود إلى ما هو عليه فكذلك قال بعض أهل العلم: ألا تنفع التوبة مطلقًا

إلى أن تقوم الساعة أم لا تنفعهم التوبة في ذلك الوقت؛ لأن بعض أهل العلم يقول تبقى يعني إلى قيام الساعة أربعون سنة.

(وَبَعْدَهَا ظُهُورُ أَمْرِ ذِي جَلَلٍ * * * دُوبِيَّةُ الْأَرْضِ تَمِيْزُ ذَا خَطَلٍ) دويبة الله أعلم ما شأنها؟ إلا أنها تتكلم تكلم الناس، قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]، ذكر أهل العلم: أنها تخرج من أجساد جنوب الكعبة، وقوله: (وَبَعْدَهَا ظُهُورُ أَمْرِ ذِي جَلَلٍ) يعني: أمر عظيم مهول، (دُوبِيَّةُ الْأَرْضِ) دابة، (تَمِيْزُ ذَا خَطَلٍ) يعني: الكافر تطبعه كافر، والمؤمن تطبعه مؤمن، فيصبح الناس يتنادون: يا مؤمن يا كافر، ما هناك: يا زيد، يا عمرو.

(عَنْ مُؤْمِنٍ وَصَاحِبِ الْإِحْسَانِ) فيتميز المؤمن صاحب الإحسان عن الكافر صاحب الإجرام، (قُبْحًا لِأَهْلِ الشُّرْكِ وَالْكَفْرَانِ) دعاء على أهل الشرك وأهل الكفر؛ إذ يميزون في الدنيا وكذلك يميزون في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَأَمْتَارُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩]، فيصبح المجرمون في مكان خاص بهم ويصبح المؤمنون بمكان خاص بهم.

ثم قال:

- | | | |
|--|---|---|
| ١٠١- وَالنَّفْحُ فِي الصُّورِ يَلِي مِنْ بَعْدِهَا | ✽ | نَفْحٌ لِّصَعْقٍ ثُمَّ نَفْحٌ بَعَثَهَا |
| ١٠٢- فَيُبْعَثُ النَّاسُ مِنَ الْقُبُورِ | ✽ | غُرْلًا عِرَاءً بَعْثَةَ النَّشُورِ |
| ١٠٣- ثُمَّ الْقَضَا بَيْنَ الْعِبَادِ طُرًّا | ✽ | فَحَسْرَةٌ لِّكَافِرٍ وَشَرًّا |



- ١٠٤ - وَمُؤْمِنٌ يَنْعَمُ بِالْخُلُودِ ❀ فِي مَقْعَدِ الصِّدْقِ لَدَى الْمَعْبُودِ
- ١٠٥ - يَا رَبَّنَا رَحْمًا بَعْبِدِ ذِي زَلْ ❀ سَلَّمَهُ يَا رَحْمَانٌ مِنْ شَرِّ نَزَلْ
- ١٠٦ - وَحَقِّقِ الْإِيمَانَ أَنَّ الْجَنَّةَ ❀ مَوْجُودَةٌ فَيَا لَهَا مِنْ مَنْه
- ١٠٧ - كَذَا لَطَى مَخْلُوقَةٌ مُعَدَّةٌ ❀ لِكَافِرٍ فَبِئْسَ تِلْكَ الْقَعْدَةُ
- ١٠٨ - وَهَكَذَا الْإِيمَانَ بِالْبَقَاءِ ❀ فِي جَنَّةٍ أَوْ دَارِ ذِي الشَّقَاءِ

الشرح:

- هذا تنمة لما ذكر ما يتعلق بأشراط الساعة؛ وهي قبل قيام الساعة، فناسب أن يذكر ما يكون بعد قيام الساعة، وقد ذكر شيء من ذلك فيما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر، وما لم يذكر هناك يُذكر هنا.

قال: **(وَالنَّفْخُ فِي الصُّورِ يَلِي مِنْ بَعْدِهَا)** أي: من بعد هذه الآيات: النفخ في الصور، قال تعالى: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾** [الزمر: ٦٨]، بعض أهل العلم ذهب إلى أن النفخات ثلاث، **والصحيح**: نفختان، والنفخ في الصور وهو: القرن العظيم ينفخ فيه إسرافيل بالإجماع، **(يَلِي مِنْ بَعْدِهَا ❀ ❀ نَفْخٌ لِيَصْعَقُ)** يصعق العباد، وأولهم رجل يلوط بحوض إبله، فيرفع ليتًا ويحرك ليتًا ثم يخر صاعقًا، **(ثُمَّ نَفْخٌ بَعْدِهَا)** بعث الناس من قبورهم، ثم ينزل الله عز وجل مطرًا كمني الرجال فينبتون كما تنبت البقلة ثم بعد ذلك ينفخ في الصور، قال تعالى: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾** [يس: ٥١]،

يجرون جرياً، وقال: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

(فَيُبْعَثُ) فيبعث الناس البعث، هو: الإثارة، (النَّاسُ مِنَ الْقُبُورِ) بل وجميع المخلوقات، لكن ذكرنا الناس؛ لأنهم المكلفون، وهكذا الجن يبعثون، فجميع المخلوقات: (غُرْلًا) يعني: غير مختونين، (عِراءٌ) غير مكسيين، (بِعِثَّةِ النَّشُورِ) يعني: يبعثون للنشر إلى أرض المحشر والمنشر، والنشر هو: الجمع، وكذلك الظهور، فيجتمعون ويظهرون في أرض المحشر في الشام.

(ثُمَّ الْقَضَا) ثم يكون بعد ذلك القضاء: (بَيْنَ الْعِبَادِ طَرًّا) يعني: قد ذكر الحوض وما يتعلق به، والميزان وما يتعلق به، ثم ذكر القضاء بين العباد، قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، (فَحَسْرَةٌ لِّكَافِرٍ وَشَرًّا) الحسرة على الكافر؛ لأنه يعذب في النار وبئس القرار، ويلحقه البوار في دار الأشرار، والله المستعان.

(وَمُؤْمِنٌ يَنْعَمُ بِالْخُلُودِ) في الجنة، كما أن الكافر يخلد في النار، قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٥]، وما جاء في قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، هذا الاستثناء من قطع، أي: من لم يكتب الله له دخولها، أو من دخلها ثم يخرج منها، وإلا فمن دخل النار من أهل الخلود لا يخرج منها، ومن دخل الجنة لا يخرج منها، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال: ﴿لَا

يُقَضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر: ٣٦]، (فِي مَقْعَدِ الصِّدْقِ لَدَى الْمَعْبُودِ) قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ* فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

- ولما ذكر هذه الأحوال العظيمة دعا لنفسه ولغيره ممن من المسلمين بقوله: (يَا رَبَّنَا رُحْمًا) أي: أرحمنا رحمة واسعة، (بِعَبْدٍ ذِي زَلَلٍ) ذي ذنوب ومعاصي وتقصير، (سَلَّمُهُ يَا رَحْمَانٌ مِنْ شَرِّ نَزَلٍ) ودعاه باسم (الرحمن)؛ لأنه أليق في هذا الموطن، فبذلك اليوم تظهر رحمات الله عز وجل فإنه خلق مئة رحمة أنزل منها رحمة إلى الأرض وأدخر تسعة وتسعين رحمة لذلك اليوم.

(وَحَقِّقِ الْإِيمَانَ أَنَّ الْجَنَّةَ ❀❀ مَوْجُودَةٌ فَيَا لَهَا مِنْ مَنَّةِ) الجنة موجودة الآن، وهي في السماء السابعة، وسقفها عرش الرحمن، وقد رآها النبي صلى الله عليه وسلم ودخلها ليلة الإسراء أخبر عن كثير من أوصافها.

- واعتقاد: أن الجنة والنار موجودة الآن هو اعتقاد أهل السنة والجماعة، وخالف المعتزلة والمبتدعة من الجهمية حيث زعموا: أن وجودها الآن عبث.

(كَذَا لَطَى) أي: من أسماء النار (لَطَى، وجهنم، والنار، والحطمة)، (مَخْلُوقَةٌ مُعَدَّةٌ ❀❀ لِكَافِرٍ) أي: أعدت للكافرين، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ»^(١)، (فَبِئْسَ تِلْكَ الْقَعْدَةُ) يعني: الجلسة أو القعدة، والعقدة أيضًا وصف للجلسة، فالمراد بها: ذلك المكث الطويل في النار.

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٢٢٧٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(وَهَكَذَا الْإِيمَانُ بِالْبَقَاءِ) إيمان ببقاء الجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لَمْ مَوْتٍ، وَلِأَهْلِ النَّارِ: يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَمْ مَوْتٍ»^(١)، (في جَنَّةٍ أَوْ دَارِ ذِي الشَّقَاءِ)؛ لأن بعض الناس ذهب إلى: أن الجنة والنار تفتنى، والصحيح: أن الجنة لا تفتنى ولا تبيد، والنار لا تفتنى ولا تبيد، نسأل الله العافية والسلامة.



(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٥٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.



وجوه طاعة أولياء الأمور في طاعة الله عز وجل

- ووضع هذا الباب وهذه المسألة في كتب العقيدة من الأمور المتعينة؛ وذلك أن المخالفين في هذا الباب كثير لا كثرة الله؛ حتى قال أبو قلابة الجرمي رحمه الله: (مَا ابْتَدَعَ الرَّجُلُ بِدْعَةً إِلَّا اسْتَحَلَّ السَّيْفَ)^(١)، وهذه قاعدة عامة عند السلف سواء كانت بدعته في التصوف، أو بدعته في الرفض، أو بدعته في الخروج، كل مبتدع يرى السيف على الإمام وعلى المسلمين، إلا أن بعضهم قد يظهر خلاف ذلك وإلا لو تمكنوا لأتوا على الناس من لم يكونوا منهم.

- وهكذا قال أيوب بن أبي تميم السخيتاني: (فرقتهم البدعة وجمعهم السيف) يعني: تفرقوا في الأقوال لكن السيف جمعهم، اتفقوا على الخروج على الحكام، والعمدة في هذا الباب قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، ولم يقل: (وأطيعوا ولي الأمر منكم)؛ لأن طاعة الإمام إنما تكون صوابًا إذا كانت موافقة لحكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم، وطاعة الإمام من أسباب حفظ الأمن على الناس، ومن أسباب استقرار البلدان واستقرار الأسعار، وحصول الأمانة بالطرق والسبل، وإقامة الشعائر الدينية؛ ولذلك قال بعض السلف: (ستون عام بإمام ظالم ولا ليلة بدون إمام)؛ لأن الليلة التي لا إمام فيها يقع فيها من السلب، والنهب،

(١) "الشريعة" للأجري.

والغضب، والقتل ما الله به عليم، انظروا كيف كانت حالة الناس في زمن صدام حسين، كان ظالمًا غاشمًا ولكن مع ذلك كانوا على الأمن، وهكذا في عهد القذافي، لكن لما ذهب هؤلاء وحصل الظلم الأكثر لم يأمن الناس في سبيل، ولم يأمنوا على بيت، ولا على عرض، ولا على مال، ولا على شيء، وما خرج قوم على ولي أمرهم إلا ابتلاهم الله بأسوأ منه، والجزاء من جنس العمل، يخرجون بقصد تغيير المنكر فيقعون في منكر أشد منه، ويخرجون دفعًا للظلم فيقعون فيما هو أشد.

انظروا إلى هذه الثورات التي حصلت في هذه الأزمنة المتأخرة ما يسمى بثورة الربيع العربي ماذا حصل للأمة جراء هذه الثور؟ ما من دولة خرجت على ولي أمرها بغض النظر عن ولي الأمر من كان؛ إلا حصل عليها من الفساد ما يربو أضعاف أضعاف ما كانوا عليه من الفساد لو قدر من الظلم؛ فلذلك أهل السنة يعتنون بهذا الباب مع أن أولياء الأمور هداهم الله يسيئون الظنون بأهل السنة في هذا الباب، ولن يجدوا أنفع لهم ولا أنفع لدولتهم ولا أنفع لشعبهم من أهل السنة والجماعة، الطائفة المنصورة، الفرقة الناجية الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بضوابطه الشرعية، وأما الخوارج فإن ادعوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك المعتزلة وإن ادعوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا أنهم يخالفون الضوابط الشرعية:

ومن يزيل منكرًا بأنكرًا ❖❖ كغاسل الحيض ببول أغبراً



فكلاهما نجس لم تتغير النجاسة ويذهبها.

قال المصنف رحمه الله:

- ١٠٩- وَالزَّمْ هُدَيْتَ طَاعَةَ الْعَلَامِ ❁ فِي طَاعَةِ الْقُضَاةِ وَالْحُكَّامِ
 ١١٠- وَاحْذَرُ خُرُوجًا ذَاكَ بِئْسَ الْحَصَلَةُ ❁ خَالَفَهُ الْإِجْمَاعُ وَالْأَدِلَّةُ
 ١١١- وَجُمُعَةٌ يَشْهَدُهَا إِذَا حَضَرَ ❁ مَعَ مُسْلِمٍ حَتَّىٰ وَإِنْ كَانَ فَجَزَ
 ١١٢- صَلَاتُنَا خَلْفَ إِمَامٍ ابْتَدَعَ ❁ تَصِحُّ إِنْ لَمْ يَكُ فِي الْكُفْرِ وَقَعَّ

الشرح:

تكلم على ما يكون مع الإمام، وما يكون من العبادات التي تكون بالإمام.
فيقول: (وَالزَّمْ) أي: التزم ولا تخالف هذا الباب في قليله ولا كثيره،
(هُدَيْتَ) إلى طريق الحق والصواب وهو: **(طَاعَةَ الْعَلَامِ)** طاعة الله عز وجل؛
 فهو علام الغيوب، **(فِي طَاعَةِ الْقُضَاةِ وَالْحُكَّامِ)**؛ لأنه هو الذي أمر بذلك،
 والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: **«وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ
 الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي»**^(١)، والله عز وجل يقول: **«مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ»**
 [النساء: ٨٠].

- **فالشاهد:** أن الطاعة متلازمة، فطاعة ولي الأمر في طاعة الله طاعة الله
 وطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:
«السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أَمَرَ

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٩٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»^(١)، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ: «أَنْ أَسْمَعَ وَأَطِيعَ، وَلَوْ لِعَبْدٍ حَبَشِيٍّ مُجَدِّعِ الْأَطْرَافِ»^(٢)، وفي حديث علي بن أبي طالب: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»^(٣).

(وَاحْذَرُ خُرُوجًا) أي: على الحاكم بالسيف أو حتى بالتهيب؛ لأن الخوارج منهم خوارج يخرجون بالسيف، ومنهم خوارج قعدية يخرجون بالتهيب؛ كما هو حال كثير من المفتين الضالين المخالفين لمنهج السلف أصحاب الحديث، فانظر حين قامت ما تسمى بثورة الربيع العربي من كان مفتي هؤلاء الثوار؟ تجد مثل القرضاوي، وسلمان سفر، والعريفي، والطريفي، والراشد، ومن في باهم، وعندنا في اليمن الزنداني، وزعتر ومن في باهم، يعني أصحاب العقائد الزائفة الخوارج قعدية الذين يقعدون القواعد، والذين يفتون الخوارج على أولياء أمورهم ويؤججون بالكذب تارة، ورأوا خالد بن الوليد في الساحات، وتارة نزل جبريل يبايع، وتارة يقولون: لو يذهب كذا مليون في حرية كذا وكذا كان أمرًا حسنًا، فشردوا الشعوب يعني: صار الذين شرذوا من سوريا أكثر من عشرة مليون مشرد وقريب مليون مقتول من غير الجرحى وغير ذلك، وصاروا يمتهنون في الدول وتحتقرهم، وبعضها تردهم إلى بلدهم لما يتعرضون إليه من

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧١٤٤) عن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن حبان حديث رقم: (٥٩٦٤).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧١٤٥).

القتل والسجن، من ذلك النصيري الظالم بشار أسد، وهكذا اليمن انظروا كيف جعلوهم في (حيص بيص) يرحلون من مدينة إلى مدينة، فيأتونهم إلى المدينة الأخرى فيبحثون عن غيرها، صار الناس في شدة عظيمة بسبب هذه الفتنة، **ذَلِكَ بِئْسَ الْخِصْلَةُ** يعني: بئس الفعلية، بئس ما يتصف به الإنسان إذ سماهم النبي صلى الله عليه وسلم كلاب النار، وسماهم شر الخلق والخليقة، **خَالَفَهُ** أي: خالف هذا الخروج: **(الْإِجْمَاعُ)** إجماع أهل السنة على عدم جوازه وعلى منعه، **(وَالْأَدِلَّةُ)** أي: من القرآن والسنة الصحيحة.

وأيضا يقول: (وَجُمُعَةٌ يَشْهَدُهَا إِذَا حَضَرَ)؛ لأن هذه من المسائل التي يخالف فيها الخوارج لا يرون الجمعة ولا الجماعة ولا العيد إلا مع الإمام العادل، هكذا يزعمون، **والصحيح:** حتى إن أئمتهم الذين يعتقدون أنهم عادلين، بمعنى: أنهم عادلون عن الحق إلى الباطل ليس بمعنى العدل الذي إقامة شرع الله، فهم يقيمون العقائد الزائفة، فمن عقيدة أهل السنة: أن الجمعة يعني: الجمعة يشهدون مع الإمام سواء كان بارًا أو فاجرًا، بل إن الإمام أحمد ربما صلى خلف الجهم ثم رجع إلى البيت وأعادها ظهرًا، فإذا تيسر لك المسجد الذي يقيم الشعيرة السلفية فذاك، وإن لم يتيسر لك إلا مساجد أهل البدع فالصلاة جائزة خلف كل بر وفاجر من المسلمين، وبوب البخاري في "صحيحه" باب الصلاة خلف أهل البدع، وقال الحسن البصري: (صلوا وعليه بدعته)، **(مَعَ مُسْلِمٍ حَتَّىٰ وَإِنْ كَانَ فَجْرًا)** يعني: مع أي مسلم الصلاة صحيحة،

فإن أحسنوا فلکم ولهم، وإن أساءوا فلکم وعليهم.

(صَلَاتُنَا خَلْفَ إِمَامٍ ابْتَدَعَ) في دينه، سواء بدعة التصوف ما لم يصل إلى عبادة القبور، أو بدعة التشيع ما لم يصل إلى الرفض، أو بدعة الخروج ما لم ينكر شيئاً معلوم من الدين ضرورة، كإنكار العجاردة لسورة يوسف أنها ليست من القرآن، وهكذا بقية البدع المرجئة ما لم يصلوا إلى بدعة الجهم بن صفوان، (تَصِحُّ إِنْ لَمْ يَكُ فِي الْكُفْرِ وَقَعَ) أما إذا كان وقع في الكفر فلا تصح الصلاة خلف الكافر، فمن عَلِمَ كفره وصليت خلفه فعليك أن تعيد الصلاة، وهكذا يلتحق بالجمعة والعيد والجهاد وجميع الأبواب المتعلقة بالإمام؛ لأن الإمام إن كان برًّا فحسن وإن كان فاجرًا لا تضيع الشعائر من أجل فجوره، ففجوره على نفسه وصلاحه للأمة، ونسأل الله لنا ولكم التوفيق والعصمة، والحمد لله رب العالمين.





القول في الصحابة رضوان الله عليهم

- والكلام عن فضائل الصحابة من مهمات العقيدة؛ لأن المبتدعة من الخوارج كفروا كثيرًا من الصحابة، والنواصب أبغضوا آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم الصالحين، والروافض أبغضوا صحابة النبي عليه الصلاة والسلام، وحتى غير هؤلاء تجد عندهم ضعف تعظيم لبعض الصحابة، فربما تجد من المعتزلة من يقول: هم رجال ونحن رجال، ومنهم من يقول: علم السلف أسلم وعلما أعلم وأحكم، إلى غير ذلك فما سلم الصحابة حقًا إلا من أهل السنة والجماعة، حتى الصوفية الذين يدعون حب الصحابة خرجوا بحبهم إلى الشرك والتنديد، وإلى الغلو في ذواتهم والتبرك بذواتهم والعبادة لقبورهم إلى غير ذلك، إذا لا بد أن نعرف المذهب الحق في الصحابة رضوان الله عليهم.

وفضائلهم مذكورة في الكتاب والسنة الصحيحة، وقد اهتم العلماء قديمًا وحديثًا بالكتابة فيهم فهم خير الأمة وأزكاها، وأعلم الأمة، وأحرص الأمة على خير، وهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠-١١]، ويقول الله عز وجل: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: ١٠]، مع أنهم كلهم صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم، لكن أولئك سبقوا في الإيمان، وسبقوا لنصرة السنة والقرآن.

والصحابة تتفاوت مراتبهم، فعلى الإجمال أفضلهم: المهاجرون، ثم

الأنصار، وعلى الآحاد: من آحاد الأنصار من يفضل مجموعة من المهاجرين، وهكذا أفضلهم: أهل بدر، ثم بيعة الرضوان، وقيل: أحد، وهكذا على التخصيص: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم بقية العشرة في تقسيمات يذكرها أهل العلم.

- **وتعريف الصحابي:** هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به، بهذا الشرط والقيّد، فمن لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو غير مؤمن حتى وإن أسلم بعد ذلك ليس بصحابي فيشترط: أن يلقى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مؤمن به.

قال رحمه الله:

- | | | | |
|---|---|---|--|
| ❖ | ١١٣- وَحُبُّ صَاحِبِ الرَّسُولِ وَاجِبٌ | ❖ | يُبْعِضُهُمْ مِنْ مَنَافِقِ مُجَانِبُ |
| ❖ | ١١٤- قَدْ عَايَشُوا التَّنْزِيلَ وَالْقُرْآنَا | ❖ | وَفَضْلُهُمْ وَخَيْرُهُمْ قَدْ بَانَا |
| ❖ | ١١٥- فَضَّلَهُمْ رَبِّي عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ | ❖ | وَهُمْ حَقِيقٌ حَيْثُ أَبْلَوْا جُهْدَهُمْ |
| ❖ | ١١٦- فَأَخْلَصُوا قَوْلًا وَفِعْلًا مَعَ عَمَلٍ | ❖ | وَتَوْبَةٍ صَادِقَةٍ مِنَ الزَّلَلِ |
| ❖ | ١١٧- أَعْلَاهُمْ فَضْلًا هُوَ الصَّادِقُ | ❖ | صَاحِبُهُ فِي الْغَارِ وَالْعَيْتِ |
| ❖ | ١١٨- يَلِيهِ فِي الْفَضْلِ أَبُو حَنْصِ عُمَرُ | ❖ | لَهُ مَنَاقِبٌ لَنَا فِيهَا عِبَرُ |
| ❖ | ١١٩- قَدْ وَافَقَ الْقُرْآنَ وَالتَّنْزِيلَا | ❖ | أَبْلَى بَلَاءً لَنْ تَرَى مِثْلَا |
| ❖ | ١٢٠- ثَالِثُهُمْ عُثْمَانُ فِي الْفَضِيلَةِ | ❖ | صِهْرُ الرَّسُولِ سَالِكِ سَبِيلِهِ |
| ❖ | ١٢١- مِنَ النَّبِيِّ زَوْجٍ بِابْتِنَانِ | ❖ | كَرِيمِ طَبَعِ كَانِ ذَا النُّورَيْنِ |
| ❖ | ١٢٢- رَابِعُهُمْ خَيْرًا وَفَضْلًا طَرَا | ❖ | أَبُو تَرَابٍ يَالَهَا مِنْ بُشْرَى |



- ١٢٣- ابْنَاهُ سَيِّدًا شَبَابِ الْجَنَّةِ ❀ قَدْ صَحَّ هَذَا عَنْ طَرِيقِ السُّنَّةِ
- ١٢٤- تَمَامُهُمْ فِي الْفَضْلِ أَعْنِي الْعَشْرَةَ ❀ خَيْرُ الصَّحَابِ وَالثَّقَاتِ الْبَرَّةِ
- ١٢٥- سَعْدُ سَعِيدٌ وَأَبُو عَيْبَةَ ❀ وَطَلْحَةُ أَفْعَالُهُ رَشِيدُهُ
- ١٢٦- ثُمَّ الزُّبَيْرُ وَابْنُ عَوْفٍ بُشِّرُوا ❀ بِجَنَّةٍ جَمِيعُهُمْ قَدْ ظَفَرُوا
- ١٢٧- عَائِشَةُ فِي الْفَضْلِ مَعَ خَدِيجَةَ ❀ وَقَدْ ذُفِّهَا كُفْرٌ بِغَيْرِ رِيَّةِ
- ١٢٨- بَقِيَّةُ الصَّحَابَةِ الْأَخْيَارِ ❀ مُهَاجِرِينَ ثُمَّ مِنْ أَنْصَارِ
- ١٢٩- وَمِثْلُهُ حَقٌّ لِآلِ الْمُصْطَفَى ❀ أَحْضُ مِنْهُمْ صَالِحًا قَدْ افْتَقَى
- ١٣٠- سَيِّدَةُ النِّسَاءِ أَعْنِي فَاطِمَةَ ❀ وَحَقُّ كُلِّ صَاحِبٍ فِي تَرْجَمَتِهِ
- ١٣١- لَا يُذَكَّرُونَ بِسِوَى الْجَمِيلِ ❀ فَضْلُهُمْ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ
- ١٣٢- وَحُبُّهُمْ فَرَضٌ عَلَيْنَا وَاجِبٌ ❀ مَنَّهُجُهُمْ هُوَ الطَّرِيقُ الصَّائِبُ
- ١٣٣- أَزْكَى الْوَرَى شَهَادَةُ الْمُخْتَارِ ❀ مُسْطَرٌّ بِأَجْمَلِ الْأَثَارِ
- ١٣٤- يُبْغِضُهُمْ رُوَيْفُضٌ مُنَافِقٌ ❀ فَاحْذَرْ هُدَيْتَ ذَا سَبِيلٍ مَاحِقُ
- ١٣٥- وَاحْذَرْ مِنَ الْعُلُوِّ فِي الْأَفْضَلِ ❀ طَرِيقُ صُوفِيٍّ قَبِيحٍ عَاطِلِ

الشرح:

يقول: (وَحُبُّ صَحْبٍ لِلرَّسُولِ وَاجِبٌ)؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:

«الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ»^(١)، ولقول الله عز وجل:

«وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٧٨٣) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

بِإِيْمَانٍ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾

[الحشر: ١٠]، فمن عقيدة المسلمين: سلامة الصدور على صحابة النبي عليه الصلاة والسلام؛ حتى فيما جرى بينهم من الأحداث لا يتعرض لها بذكر ولا يتعرض لهم بدم، فمن وقع منهم في خطأ فعنده من الحسنات الماحية والمكفرات الشيء الكثير، وربما قد تاب منها، وشأنهم إلى الله عز وجل، **(يُبْغِضُهُمْ مُنَافِقٌ)** يبغضهم المنافقون، في أيام الرسول صلى الله وسلم وفي غيره، أما أولئك فكانوا قد ظهر نفاقهم، وأما هؤلاء فيبطنون النفاق ويظهرون الإسلام، ومن أشد هؤلاء المنافقين: الباطنية والرافضة؛ فهم يبغضون صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ويلعنونهم، ويرون لعنهم إيمان والله المستعان، بل إنهم يعمدون إلى آيات القرآن التي نزلت في الكفار ويجعلونها في حق الصحابة، مثل قول الله عز وجل في الأمر بالكفر بالطاغوت، قالوا: أبو بكر الجبت، وعمر: الطاغوت، **(مُجَانِبٌ)** أي: مجانِب ومبتعد عن طريقة السلف وعن طريقة النبي صلى الله عليه وسلم وعن دين الإسلام.

(قَدْ عَايَشُوا) أي: من أسباب فضلهم: أنهم قد عايشوا **(التَّنْزِيلَ وَالْقُرْآنَا)**

نزول الوحي، بخلاف غيرهم الذين إنما يتلقون العلم عن غيرهم ويحتاجون إلى علوم الإله حتى يفهموا كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، أما القرآن نزل بلغتهم قال عبدالله بن مسعود: (ما من آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت ومتى أنزلت)، **(وَفَضَّلَهُمْ وَخَيْرَهُمْ قَدْ بَاتَا)** أي: ظهر فضلهم وخيرهم

قد ظهر في القرآن وفي السنة، وفي مسارعتهم إلى فعل الخيرات وفي بذلهم المبرات وغير ذلك مما هم عليه لو لم يكن إلا أن الله اختارهم لنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم صلوا خلفه وجاهدوا معه، ودعا لهم وناصره وصاحبوه ومن لقيه ولو ساعة من نهار، ولو نظر إليه ثم حجب منه وبقي على إسلامه حتى مات فهو صحابي، فالصحبة لا تعدلها شيء.

(فَضَّلَهُمْ رَبِّيَ عَلَيَّ مَنْ بَعْدَهُمْ) على التابعين وعلى تابعيهم وعلى من بعدهم إلى أن تقوم الساعة، **(وَهُمْ حَقِيقٌ حَيْثُ أَبْلَوْا جُهْدَهُمْ)** يعني: وهذا التفضيل حقيق بهم؛ لأنهم أبلوا جهدهم في نصرته الإسلام وفي المسارعة إليه.

(فَأَخْلَصُوا) لله عز وجل بقلوبهم، **(قَوْلًا وَفِعْلًا مَعَ عَمَلٍ)** أخلصوا القول والفعل وحققوا أيضًا العمل، وعمر عند موته يقول: (يا ليتني أخرج منها كفافًا لآلي ولا علي)، مع أنه كان قائمًا بأمر الله، وقد بُشِّرَ برضوان الله، **(وَتَوْبَةٍ صَادِقَةٍ مِنْ الزَّلَلِ)** أي: من وقع منهم في خطأ تجد منه التوبة الصادقة الصريح، مثل: ماعز بن مالك قدم نفسه لتكفير ذنبه، ومثل: المرأة الغامدية التي قدمت نفسها للرجم، وهكذا كانوا يبادرون إلى التوبة النصوحة.

(أَعْلَاهُمْ فَضْلًا هُوَ الصَّدِيقُ) وهو: أبو عبدالله بن عثمان بن أبي قحافة التيمي، لقب بالصديق لتصديقه بجميع ما أخبره به النبي صلى الله عليه وسلم، **(صَاحِبُهُ فِي الْغَارِ)**؛ كما قال الله عز وجل: **(ثَانِيِ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)** [التوبة: ٤٠]. **(وَالْعَتِيقُ)**؛ لأنه أعتق من النار، ومن

فضائله: أن جميع أهل بيته دخلوا الإسلام بخلاف غيره فأبوه مسلم، وزوجته مسلمة، وأمه مسلمة، وأبنائه مسلمون، وقد نزل فيه القرآن في آيات يشي الله عز وجل عليه، وأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن، منها: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكُ، إِنَّ أُمَّنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ»^(١)، وَلِيَّ الْخِلاَفَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتِّينَ ثَمَّ لِحَقِّ بِهِ.

(يَلِيهِ فِي الْفَضْلِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ) عمر بن الخطاب العدوي، أمير المؤمنين، (لَهُ مَنَاقِبٌ لَنَا فِيهَا عِبْرٌ)؛ يعني: معتبر؛ إذ أنه كان من أهل العلم، وأهل الفضل، وأهل الخوف والورع، إلى غير ذلك مما كان عليه، ومن يتأمل قصة وفاته التي أخرجها البخاري رقم (٣٧٠٠) يجد العجب العجاب في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وحرصه على الخير، وفي حرصه على أن يكون قريباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي خوفه من الله وفي رجائه، وفي جميع شأنه.

(قَدْ وَافَقَ الْقُرْآنَ) في عدة مواطن ذكر السيوطي منها عشرين موطناً، (وَالْتَنَزِيلًا) تنزيل الوحي، قال: (يا رسول الله حجب نساءك)؛ فأنزل الله آية الحجاب، قال: (يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى)؛ فأنزل الله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وهو والذي قبله قد بشرهم

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٦٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.



رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة كما سيأتي معنا في حديث العشرة، وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأَمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ»^(١)، وقال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»^(٢)، (أَبَى بَلَاءَ لَنْ تَرَى مِثْلًا) أي: في الإسلام، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلْبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَتَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَتَزَعَّ بِهَا ذُنُوبًا أَوْ ذُنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرَبًا، فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ فَلَمَّ أَرَعَبَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عَمَرَ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنِ»^(٣)، أي: أن الناس اجتمعوا حوله واستفادوا منه، وفي خلافته فتحت الفتوحات، فتحت الشام، والعراق، ومصر كلها بخلافته/ وقتله أبو لؤلؤ المجوسي لعنه الله وهو يصلي بالناس الفجر.

(ثَالِثُهُمْ عُمَانُ فِي الْفَضِيلَةِ) عثمان بن عفان من بني عبد شمس كما في حديث ابن عمر: قَالَ: " كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُمَانُ"^(٤)، (صَهْرُ الرَّسُولِ)؛ لأنه تزوج منه، (سَالِكٌ سَبِيلَهُ) أي: مقتفٍ لسنته أخذ بطريقته وهدية.

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٣- (٢٣٩٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٢٩٤) عن سعد بن أبي وقاص.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٦٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٧٠٧).

(مِنَ النَّبِيِّ زَوْجٍ بَابْتَيْنِ) وهذا لا يعلم لغير عثمان أن أحدًا تزوج ابنتي نبي وهي: رقية وأم كلثوم، (كَرِيمٌ طَبِعَ) قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»^(١)، (كَانَ ذَا النُّورَيْنِ) سُمِّيَ بِ(ذِي النُّورَيْنِ) لزواجه ابنتي النبي صلى الله عليه وسلم، والرافضة والخوارج يطعنون فيه، فقتلوه لا سيما الخوارج بغوا عليه وقتلوه وهو ابن ستة وثمانين سنة.

(رَابِعُهُمْ خَيْرًا وَفَضْلًا طَرًّا) أي: رابع الثلاثة رابع أبي بكر وعمر وعثمان وهو أفضل أهل زمانه بالإجماع (أَبُو ثَرَابٍ) لقبه وكنيته أبو الحسن، (يَا لَهَا مِنْ بُشْرَى): البشارات التي قيلت فيه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا يُحِيكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَبْغُضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ»^(٢)، وبشر بالجنة وبشر بمحبة الله له ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد غلى فيه الرافضة فعبدوه وألهوه، وغلى فيه الخوارج فقتلوه وهو خارج لصلاة الفجر، قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي في عيد الفطر.

(أَبْنَاهُ سَيِّدًا شَبَابِ الْجَنَّةِ) الحسن والحسين، شَهِدَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، (قَدْ صَحَّ هَذَا عَنْ طَرِيقِ السُّنَّةِ) في عدة أحاديث، مع أن الجنة كل من فيها شاب إلا أن هذا الخبر على ما كان قول النبي صلى الله عليه وسلم في زمنهم، ويستمر فضلهم على شباب الجنة والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٣٦- (٢٤٠١) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه النسائي حديث رقم: (٥٠١٨) عن علي رضي الله عنه.

(تَمَامُهُمْ فِي الْفَضْلِ أَعْنِي الْعَشْرَةَ ❁❁ خَيْرُ الصَّحَابِ وَالثَّقَاتِ الْبَرَّةِ) اسم العشرة؛ لأنهم جاءوا في حديث واحد، فعن سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ»^(١)، وإلا هناك من بُشِّرَ بالجنة غيرهم كثير.

(سَعْدٌ) وهو ابن أبي وقاص، سعد بن مالك خال النبي صلى الله عليه وسلم من أخواله نزل فيه القرآن يتلى مجاب الدعوة، (سَعِيدٌ) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأبوه يبعث يوم القيامة أمةً وحده، (وَأَبُو عُبَيْدَةَ) عامر الفهري عامر بن الجراح الفهري، كان من أصحاب الفضائل والشمائل؛ حتى قالت عائشة: لما سئلت لو كان النبي صلى الله عليه وسلم مستخلف؟ قالت: لاستخلف أبا بكر، قالوا: ثم من؟ قالت: عمر، قالوا: ثم من؟ قالت: أبو عبيد بن الجراح، فكان من أصحاب الفضائل، وهو قائد فتوحات الشام بعد أن غير عمر بن الخطاب خالد بن الوليد رضي الله عنه، (وَطَلْحَةُ) طلحة بن عبيد الله، (أَفْعَالُهُ رَشِيدَةٌ) إشارة إلى ما وقع منه يوم أحد، فَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الْجَعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انْشُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ»، فَأَشْرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٧٤٧) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ، وَعَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ قَالَ: كَانَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِرْعَانِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَهَضَّ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَأَقْعَدَ طَلْحَةَ تَحْتَهُ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى الصَّخْرَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ»^(١)، ورأى عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن يساره رجلين وكان جبرائيل وميكائيل، ولَمَّا ضَرَبَتْ يَدُهُ، فَقَطَعَتْ أَصَابِعُهُ، فَقَالَ: حَسَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ قُلْتِ بِسْمِ اللَّهِ لَرَفَعْتَكِ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ»^(٢).

- وكان جوادًا كريمًا باذلاً في أوجه الخير، قالت امرأة طلحة له: ما رأيت ألام من قومك، قال: وكيف؟ قالت: يأتونك إذا أيسرت، ويقطعونك إذا أملت، قال: فهؤلاء أكرم قوم حين يأتوننا حيث بنا قوة على برهم والقيام بحقوقهم، وينقطعون عنا حين نضعف عن ذلك^(٣).

(ثُمَّ الزُّبَيْرُ) الزبير بن العوام، ابن عم خديجة وابن صفية بنت عبد المطلب، عمه النبي صلى الله عليه وسلم وزوج أسماء بنت أبي بكر، وأبو عبد الله بن الزبير، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرِ»^(٤)، (وَإِبْنُ عَوْفٍ) عبد الرحمن بن عوف الزهري، (بُشْرُوا) بجنة عرضها السماوات

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٦٩٢).

(٢) أخرجه النسائي حديث رقم: (٣١٤٩) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) "مختصر تاريخ دمشق".

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٨٤٦).

والأرض، وهذا لقول بعضهم: بأن عبد الرحمن بن عوف يدخل حبواً ولا يثبت في ذلك شيء، بل هو من العشرة المبشرين بالجنة، وكان جواداً كريماً باذلاً في أوجه الخير، **(بِجَنَّةٍ جَمِيعُهُمْ قَدْ ظَفَرُوا)** أي: العشرة، وكذلك ممن بُشِّرَ خارج العشرة: عائشة، وخديجة، وبلال، والرّمضاء، كذلك من عبد بن سلام وجمع ثابت بن قيس بن شماس، وعكاشة بن محصن.

(عَائِشَةُ فِي الْفَضْلِ) عائشة بنت الصديق، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يتزوج بكراً غيرها، **(مَعَ خَدِيجَةَ)** بنت خويلد زوجها، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، أول من آمن على الصحيح، وأفضل زوجاته، ومنهم من ذهب إلى تفضيل عائشة، ومنهم من فصل فقال: عائشة في العلم والفقهاء، وخديجة في السابقة، **والصحيح:** أن خديجة سَلَّمَ الله عليها، وعائشة سَلَّمَ الله عليها جبريل، ولا سواء في هذا الباب، **(وَقَذَفَهَا)** قذف عائشة بما برأها الله منه وهو ما سلكه المنافقون، ولحقهم على ذلك الرافضة والباطنية من قذفها بالزنا سلمها الله، **(كُفِّرَ بِغَيْرِ رِيْبَةٍ)** لأنه تكذيب للقرآن، وتكذيب لصحيح السنة؛ حتى من قذف غيرها من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يكفر على الصحيح.

(بَقِيَّةُ الصَّحَابَةِ الْأَخْيَارِ) لأننا لو أردنا أن نستفصل في جميع الصحابة لطل المجلس وخرجنا عن المقصود، لكن كل الصحابة لهم فضل ومنزلة: **(مُهَاجِرِينَ)** المهاجر وهو: من هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم من غير المدينة سواء هاجر من قريش أو غيرها من القبائل، **(ثُمَّ مِنْ أَنْصَارِ)** الأنصار

هم: الذين سكنوا المدينة وناصروا النبي صلى الله عليه وسلم، وأصلهم من اليمن، دعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ»^(١)، وكان يحبهم.

(وَمِثْلُهُ) ومثل ما تقدم، (حَقُّ لِيَالٍ) المراد بـ(بالآل) هنا آل البيت، حرموا الصدقة، (المُصْطَفَى) محمد صلى الله عليه وسلم، (أَخْصُ مِنْهُمْ صَالِحًا قَدِ افْتَقَى) لأن الرافضة وإن اتصلت أنسابهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخلون في هذا الفضل، وعُباد القبور من الصوفية وإن اتصلت أنسابهم فيما يزعمون بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يدخلون في هذا الفضل، إنما يختص بهذا الفضل بالصالحين منهم مثل: علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وابن عباس، وهكذا عبد الله بن جعفر، وجعفر بن أبي طالب ومن سلك سبيلهم.

(سَيِّدَةُ النِّسَاءِ أَعْنِي فَاطِمَةَ) سيدة نساء العالمين، صحَّ عن عائشة وغيرها قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، (وَحَقُّ كُلِّ صَاحِبٍ فِي تَرْجَمَتِهِ) أي: لو أردنا الاستفصال حق كل صاحب أن تكون له ترجمة تذكر فيها مآثره وتذكر فيها أقواله وأفعاله، ونستفيد منها كلها لا يذكرون هذا حكم عام في جميع الصحابة.

(لَا يُذَكَّرُونَ بِسِوَى الْجَمِيلِ) سواء حدث منهم ما حدث أو كانت منهم السلامة لا يذكرون بالجميل، ومن ذكرهم بغير الجميل فهو على غير السبيل،

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٣٢٢٦) عن أنس رضي الله عنه.

قال الله عز وجل لَمَّا ذَكَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، **(فَضْلُهُمْ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ)**
 قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، في آيات وكذلك في السنة متكاثرة أدلتهم.

(وَحُبُّهُمْ فَرَضٌ عَلَيْنَا وَاجِبٌ) فرضه الله؛ إذ أنه يحبهم والرسول صلى الله عليه وسلم يحبهم، فلا خير في قوم يبغض من ناصر النبي صلى الله عليه وسلم ومن فاد النبي صلى الله عليه وسلم، ومن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم متعلماً معلماً ناشراً للخير، فما نحن فيه من الخير فهو من فضلهم بعد فضل الله عز وجل، فهم الذين بلغوا القرآن والسنة، وهم الذين نصرنا ونشروا الإسلام، وهم الذين حفظ الله عز وجل بهم القرآن إلى غير ذلك، **(مَنْهَجُهُمْ هُوَ الطَّرِيقُ الصَّائِبُ)** منهج السلف الصالح، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّدِينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»**^(١)، فقد قيل: بأن الخلفاء الراشدين في هذا الحديث المراد بهم جميع الصحابة،

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٦٠٧) عن العرباض بن سارية رضي الله عنه.

ويقال: المراد الأربعة، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول فيهم: «وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»^(١).

(أَزْكَى الْوَرَى شَهَادَةُ الْمُخْتَارِ) هم ازكى الورى بشهادة النبى صلى الله عليه وسلم كما في حديث عبد الله بن مسعود وعمران بن حصين وعائشة وأبي هريرة، قال النبى صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُومُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُومُهُمْ»^(٢)، (مُسَطَّرٌ بِأَجْمَلِ الْأَثَارِ) في "الصحيحين"، وفي غيرها، ففي حديث عبد الله بن مسعود قال: (إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ)^(٣).

(يُبَغِضُهُمْ) يعني: الصحابة رضوان الله عليهم، (رُؤَيْفُضٌ) تصغير الراضى، (مُتَأَفِّقٌ) زنديق يبطن الكفر ويظهر الإسلام؛ حتى وإن زعم أنه يبغض الكفار فهو كاذب فهو من رؤوس الكفر وعباد القبور، وكذلك يطعنون في القرآن وفي سنة النبى عليه الصلاة والسلام وفي صحابته الكرام ويناقضون المعقولات

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٠٧- (٢٥٣١).

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (٧١٢٣).

(٣) أخرجه أحمد حديث رقم: (٣٦٠٠).



ويخالفون المنقولات إلى غير ذلك من الأمور التي يتعاطونها، (فأحذر هديت) يعني: هديت لسبيل الرشاد: أن تكون مع سبيلهم، فالمعنى: احذر سبيلهم أن تقتفيه هديت إلى سبيل الرشاد، (ذَا سَبِيلٌ) سبيل الرفض، (مَاحِقٌ) ماحق للحسنات، ماحق الإيمان، ماحق الإسلام، ماحق البركات، لا خير فيه ولا من يسلكه ويجتبيه.

(وَاحْذَرُ مِنَ الْغُلُوِّ فِي الْأَفْضَالِ) لأن الغلو في الأفاضل هو أصل الباطل، وعادة الغلو يكون في الأفاضل، ما يذهب يغلو في واحد زاني أو سارق أو شارب خمر إلا عند غلاة الصوفية، فهؤلاء ربما يذهبون إلى مثل هؤلاء ويقولون: هؤلاء لهم عندهم منزلة، ولهم كرامة، ولهم كذا لا تعرفونها، وأما الأصل أن الناس يغلون في الأنبياء يغلون في الصحابة، يغلون في الصالحين، فإياك والغلو إنما أهلك من كان قبلهم الغلو، (طَرِيقٌ صُوفِيٌّ قَبِيحٌ عَاطِلٌ) هو الذي غلى فيهم وعظم قبورهم وأشد الرحال لها وعبدها من دون الله، نسأل الله السلامة والعافية.



تقديم طريقة السلف على الخلف

- **السلف**: هم الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين هذا على معنى المذهب والطريقة وأما السلف من حيث اللغة فهو المتقدم كما قال سبحانه وتعالى { {فله ما سلف} } وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم { {أنه نعم السلف أنا لك} }

والخلف يأتي أيضا بمعنيين

المعنى الأول المتأخر

والثاني أهل البدع

في أي زمن وحين وأما الخُلف فلا يكون إلا على البدعة والذم والانتساب إلى السلفية انتساب شرعي وليس ببدعي إذ أن السلفية هي السنة وهي طريقة النبي صلى الله عليه وسلم فإن قال لك قائل الله عز وجل يقول هو سماكم المسلمين وأنتم اخترتم اسم غير الإسلام قل نعم هو سمانا المسلمين وكان المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يسمون بهذا الاسم لكن حين ظهرت البدع ينتسبون إلى الإسلام بين العلماء بل والصحابة رضوان الله عليهم قبل ذلك من هم أصحاب الإسلام الصحيح فسمى الصحابة بالجماعة سمي الصحابة بالجماعة تمييز لهم عن الخوارج الذين يدعون أنهم من أهل الإسلام وهم مبتدعة ضلال وهكذا حين ظهر الرأي سموا أنفسهم بأهل الحديث وبأهل الأثر ولما ظهرت البدعة منتحل طريق السنة سموا أنفسهم بالسلفيين فهي

أسماء من حقائقها ووقائعها من الحقائق والوقائع ليست بأسماء مجردة إنما هي أسماء لها معاني فكل أسماء الطائفة المنصورة الفرقة الناجية أهل الحديث أهل الأثر أهل السنة السلفيون هذه أسماء لمسمى واحد

قال رحمه الله:

- | | |
|---|---|
| ١٣٦- فَخُذْ هُدَيْتَ بِطَرِيقِ السَّلَفِ ❀ | فَإِنَّهَا نِعْمَ طَرِيقُ الْمُتَّقِي |
| ١٣٧- مَعَ كُلِّ نَصٍّ ثَابِتٍ فِي الشَّرْعِ ❀ | مُجْتَنِبِ الْمُخَادِثِ وَبِدْعِي |
| ١٣٨- فَالْقُرْبُ مِنْهُمْ فَتُحَ بِابِ الشَّرِّ ❀ | وَهَجْرُهُمْ سَلَامَةٌ مِنْ ضُرِّ |
| ١٣٩- وَاهْجُرْ هُدَيْتَ الْإِبْتِدَاعِ وَالْمَرَى ❀ | بِبَاطِلٍ فَهُوَ سَبِيلٌ لِلْفَرَى |
| ١٤٠- وَصَابِرِ النَّفْسِ مَعَ الْإِخْوَانِ ❀ | أَعْرِضْ هُدَيْتَ عَنِ أَخِي الشَّيْطَانِ |
| ١٤١- بِنَصِّ قَوْلِ اللَّهِ ذِي الْإِنْعَامِ ❀ | فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَفِي الْإِنْعَامِ |
| ١٤٢- وَاجْتَنِبِ الزُّورَ أَخَا الْإِيمَانِ ❀ | إِنْ ابْتَغَيْتَ طَاعَةَ الرَّحْمَنِ |
| ١٤٣- أَمْرٍ مِنَ اللَّهِ عَظِيمِ الشَّانِ ❀ | فِي سُورَةِ الْحَجِّ وَفِي الْفُرْقَانِ |
| ١٤٤- ثُمَّ عَرَى الْإِيمَانَ فِي الْأَخْبَارِ ❀ | أَوْثَقُهَا مَحَبَّةُ الْأَخْيَارِ |
| ١٤٥- مُجَدِّدِو الْعَصْرِ هُمْ الْأَبْنَاءِ ❀ | ثُمَّ ابْنُ بَازِ عَالِمِ رَبَّانِي |
| ١٤٦- وَابْنُ الْعُثَيْمِينَ رَفِيعُ الشَّانِ ❀ | وَالْوَادِعِيُّ فَارِسُ الْمَيْدَانِ |

الشرح:

يقول: (فَخُذْ هُدَيْتَ) إلى الرشد والصواب تمسك: (بِطَرِيقِ) مذهب:

(السَّلَفِ) الصالح المتقدم وهم: الصحابة ومن تبعهم بإحسان، (فَإِنَّهَا) أي: هذه

الطريق: (نعم طريق المفتي) المتبع لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفَيْتُمْ) ^(١)، وقال صلى الله عليه وسلم: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» ^(٢).

(مع كل نص ثابت في الشرع) يعني: خذ بطريق السلف مع النصوص هذا من التقديم والتأخير؛ لأن طريقة أهل السنة الأخذ بالكتاب والسنة والإجماع، لكن لما كان الكلام هنا عن طريقة السلف بدأ به، ثم قال: وطريقة السلف يؤخذ بها مع كل نص من القرآن أو السنة ثابت في الشرع، أما القرآن فثبوته متواتر، وأما السنة فلا بد من النظر حتى تتوصل إلى صحيح الحديث، ومن مردوده، وصحيح الحديث في "البخاري" و"مسلم" شأنه متفق عليه، ولكن في غير "الصحيحين" لا بد من النظر، (مجتنباً للمحدث وبتدعي) مجتنباً متميزاً عن أهل البدع الذين أحدثوها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» ^(٣)، وفي رواية أخرى لمسلم: «مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» ^(٤)، والله عز وجل قد نهى عن مجالسة المبطلين، وهكذا رسول الله

(١) أخرجه الدارمي حديث رقم: (٢٢٤).

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٦٠٧) عن العرياض بن سارية رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٦٩٧)، ومسلم برقم: ١٧- (١٧١٨).

(٤) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٨- (١٧١٨).

صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ، كَمَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَيْرِ، فَحَامِلِ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَيْرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»^(١).

فَالْقُرْبُ مِنْهُمْ أي: الدنو من أهل البدع: **(فَتْحُ بَابِ الشَّرِّ)** لأنك ستستمع إلى شبههم وإلى باطلهم، وربما أدى ذلك إلى الركون إليهم والمحبة لهم والرضا بصنيعهم، وكان في جلوسك منهم فتنة لغيرك، قد تقول: أنا أعرف بمنهج السلف من منهج الخلف، لو كنت تعرف منهج السلف من منهج السلف لهجرتهم، ثم إن الذي يراك تجالسهم سيتأثر بهم يقول: قد جالسهم فلان وهو أعلم مني كما حصل في عهد متقدم، وقيل لرجل: كيف اتبعت فلان وهو مبتدع؟ قال: رأيت الدار قطني أو غير ذلك يصافحه، فربما صافحه الدارقطني لسبب أو لآخر، لكن البعيد ما يدري ما السبب؟ فمجالسة أهل البدع سبب للضلال، ولا تقل أنا عندي إيمان عندي علم من سمع بالدجال فليأ عنه، **(وَهَجَرْتَهُمْ سَلَامَةً مِنْ ضُرِّ)** هجر أهل البدع سلامة من الضرر في الدين، وأيضا اقتداء بكتاب الله وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أما الكتاب: فقد قال الله عز وجل: **﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَجُودُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾** [الأنعام: ٦٨]، وأما السنة: فقد هجر النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع؛ حين تخلفوا عن غزوة تبوك

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٥٣٤).

وخشيَّ منهم النفاق؛ حتى برأهم الله عز وجل من ذلك.

(وَأَهْجُرْ هُدَيْتَ الْإِبْتِدَاعَ وَالْمِرَى) أيضًا لا يكفي أنك تهجر أهل البدع فقط، بل أهجر الابتداء نفسه، أهجر البدعة لا تقربها ولا تعتقدها ولا تدعو إليها، ولا تعظم شأنها؛ لأنها طريقة في الدين لم يأذن الله بها طريقة في الدين مخالفة لهدي سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وفيها استدراك على شرع الله استدراك على شرع الله، كأن المبتدع يقول: كان الدين ناقصًا حتى أتيت أنا فكملمته بهذه الآراء، وهذه المحدثات والمراء المجادلة والمناظرة والمخاصمة لأهل البدع كان السلف ينكرونها، فقد يأتيك المبتدع يقول لك: يا أخي ناقشني، انصحني، وجهني، ناظرني إن كان من نصيحة اعطهم شيء، إما أن تجلس لمناظرته يأتي بشبهة وأنت ترد عليها، ثم يأتي بشبهة أخرى قد يلبس عليك دينك، الأمر الثاني: قد يأتي بشبهة تستقر في قلبك لا تستطيع أن تدفعها؛ فلذلك كان السلف يكره نظرة أهل البدع، الحق معلوم في موطنه، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: **«أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا»**^(١)، **(بِبَاطِلٍ فَهَوَ سَبِيلٌ لِلْفِرَى)** سبيل للوقوع في الفرية العظيمة وهي البدعة طريق الشر، انظروا إلى عمران بن حطان تزوج امرأة ليكون سببًا في هدايتها، فما زالت به حتى جرفته إلى مذهب المبتدعة، مناظرة بعد مناظرة ومجالسة بعد مجالسة وإذا به يقول في عبد الرحمن بن ملجم:

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٨٠٠) عن أبي أمامة رضي الله عنه.

يا ضربة من تقى ما أراد بها ❀❀ إلا ليبلغ عند ذي العرش رضواناً
 إني لأذكره يوماً فاحسبه ❀❀ أوفى البرية عند ذي العرش ميزاناً
 يعني: قاتل علي ابن أبي طالب، وهو كان من أهل السنة أثرت عليه امرأة،
 كيف بك أنت إذا جلست يعني: من ربما عنده كثير من الشبه ويأتيك بمتشابه
 القرآن والمتشابه السنة ولو لم يكن إلا متشابه عندك أنت لقلعة العلم، فالفرار
 الفرار، قال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فِرٌّ مِنَ الْمُجْدُومِ فِرَارٌ مِنَ
 الْأَسَدِ»**^(١)، لا تجالس المبتدع ولو قال: ناصحني، إن كان من نصيحة تبذل ولا
 يجادل بحيث يقول لك، ويرد عليك وترد عليه، هذا هو سبيل السلف، وإنما
 ضيقوا المناظرة بشروط يعني: مشددة بأن يكون المناظر من أصحاب الاطلاع
 والعلم والبصيرة، وأن تكون المناظرة في وسط محكم؛ بحيث لا يلتبس الأمر،
 تبقى أنت وهو في مجلسه يوم بعد يوم، بعض إخواننا هداهم الله في بلاد أفريقيا
 يبقى مناظر للصوفية كل سنة في نفس الشبه، وتأتي السنة الثانية في نفس الشبه،
 هذه ليست مناظرة، هذه ضياع للأوقات، هذا تلبس، هذا سبب للضرر؛
 وإنما المسلم يذكر حجته ويذهب، قال تعالى: **«فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي
 لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا»** [يونس: ١٠٨]، وقد يكون عندك علم وما
 عندك طريقة للمناظرة، فبعض الناس عنده علم وما عنده طريقة للمناظرة
 فيخصمه المبتدع، والعوام هوام، إذا رأى المبتدع فاق في الكلام وفي حسنه وفي

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٩٧٢٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ترتيبه قالوا: انظروا هذا هزم هذا واتبعوه؛ فلذلك المناظرة شأنها مضيق.

(وَصَابِرِ النَّفْسِ مَعَ الْإِخْوَانِ) اصبر مع إخوانك المستقيمين على الكتاب والسنة وإن جفوك وإن مقتوك؛ لأن بعض الأمور قد تقع بين الإخوة من المهاجرات، والمناكفات، والاختلافات، لكن اصبر مع إخوانك لا تتجاوزهم إلى المبتدعة بحجة أنهم جفوك وأنهم قلوك، انظر إلى كعب بن مالك لما هجره المسلمون خمسين ليلة أرسل إليه ملك غسان: قد علمنا أن صاحبك قد جفاك فأقبل إلينا نواسك، فأخذ تلك الرسالة وسجرها بالتنور، وقال: (وهذا من البلاء)، فأهل السنة يقع بينهم اختلافات، ربما خلاف أفهام يجر إلى التنازع وإلى الكلام وإلى التهاجر، لكن لا يحملك هذا الخلاف بينك وبين إخوانك على أن تذهب إلى أهل البدع، **(أَعْرِضْ هُدَيْتَ عَنْ أَخِي الشَّيْطَانِ)** كن معرضاً عن أخي الشيطان عن المبتدع الضال.

(بِنَصِّ قَوْلِ اللَّهِ ذِي الْإِنْعَامِ) ذي الفضائل العظيمة والآلاء الجزيلة، **(فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَفِي الْإِنْعَامِ)** كما قال تعالى: **﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾** [الكهف: ٢٨]، وكما قال تعالى: **﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾** [الأنعام: ٦٨].

(وَاجْتَنِبِ الزُّورَ أَخَا الْإِيمَانِ) الزور: كل ما خالف كتاب والسنة من الأقوال، والأفعال، والمعتقدات، **(إِنْ ابْتَغَيْتَ طَاعَةَ الرَّحْمَنِ)** طاعة الله سبحانه وتعالى



والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ عَظِيمِ الشَّانِ) عظيم الأسماء والصفات والأفعال وجميع شأنه،

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، (في سورة

الحج وفي الفرقان) قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا

مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، وقال في الحج: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ

الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، فعلى الإنسان أن يكون بعيد عن الزور

وعن أهل الزور، لكي لا يلتبس عليه الشأن، فمن علامة المؤمنين: اجتناب

الزور، وأمر الله للمؤمنين باجتناب الزور وإن قالوا فيك ما قالوا، قل لهم: أمر

الله أن نجتنبكم وأن نكون في بعد ومنأى عنكم، لا يجوز لنا أن نخالطكم ولا أن

نقارنكم.

(ثم عرى الإيمان في الأخبار * * * أوثقها محبة الأخبار) قال النبي صلى الله

عليه وسلم كما في حديث ابن عباس عند أحمد (١٨٥٢٤) جاء موقفاً ومرفوعاً:

﴿إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ﴾، فينبغي أن تكون محبتك

لإخوانك في الله ليس من أجل عطاء، ولا من أجل منع، فالمحبة في الله ضابطها:

أنها لا تريد بعطاء ولا تنقص بمنع، وفي حديث أنس رضي الله عنه، قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بَيْنَ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ: مَنْ

كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ

يُعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ»^(١)، وفي السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ»^(٢).

(مُجَدِّدُ الْعَصْرِ هُمُ الْأَلْبَانِي) الإمام: محمد اسمه ليس محمد إنما العجم يضيفون اسم محمد إلى الأسماء، فتجدهم يقول: محمد علي محمد صالح ولكن اسمه: ناصر الدين ناصر بن نوح بن نجاتي الألباني مولد، وسوري نشأة، والأردني مستقرًا ووفاة، وهو من أئمة السنة الأخيار والعلماء الأبرار، فقد نفع الله به في كثير من الأقطار لا سيما بكتبه المميزة بين صحيح الحديث وضعيفه، وبين سليمه وسقيمه وبين مقبوله ومردوده، وكان ذو مناظرة قوية ربما يفحم الخصوم بجلسة أو جلسات، ومما يذكرون: أن بعضهم جاء إليه وقال له: أنا نبي أعلم الغيب، فقال له: ما الدليل على نبوتك؟ قال: أعلم الغيب، قال له: عندي لك سؤال، قال: ما هو؟ قال: إذا ما تعلم الغيب، فخصمه بكلمة، وهكذا يناظر الحزبيين ويناظر المبتدعين، وله قصص عظيمة كثيرة في خصمهم، **(ثُمَّ ابْنُ بَازٍ عَالِمٌ رَبَّانِي)** الإمام: أبو عبد الله عبد العزيز ابن باز، كان مفتي المملكة العربية السعودية، وكذلك إمام المسلمين، كما قال شيخنا مقبل، وهكذا شيخ الشيخ الألباني وغير واحد من أهل العلم يسمونه بإمام المسلمين، كان زاهدًا ورعًا عابدًا عالمًا عارفًا مع أنه كان أعمى البصر إلا أنه كان مبصر البصيرة.

(وَأَبْنُ الْعُثَيْمِينَ رَفِيعُ الشَّانِ) الإمام: محمد صالح العثيمين، إمام من أئمة

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٦٧- (٤٣).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

السنة، ألف وصنف ودرس، وله جهود عظيمة في بيان الحق والدعوة إليه، (وَالْوَادِعِيُّ) مقبل بن هادي الوادعي، أبو عبد الرحمن الهمداني اليماني، (فَارِسُ الْمَيْدَانِ)؛ لأن الله جمع له كثير من الصفات لا سيما في كلامه في أهل البدع والتحذير من شرورهم، لا يوجد لغيره مثل كلامه، فقد تكلم في أشد الفرق في حينها، سواء القاعدة الجهاد والإخوان، وجماعة جهيمان، والشيعية، والاشتراكية، والبعثية، والناصرية، بقية العلماء تكلموا ولهم جهود لكن هو فضح هذه المذاهب السيئة وحذر منها مع بروزه في علم الحديث، ومن أشهر كتبه في هذا الباب "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"، ثم بوبه على "الجامع الصحيح"، وهكذا "أحدث معللة ظاهرها الصحة" وله كثير من الكتب المفيدة في الرد على أهل البدع، و"بيان عقيدة السلف" وكلهم لهم جهود وذكرنا هؤلاء في طريق السلف حتى يعلم المسلم من أين يأخذ عقيدته؟ من أين يأخذ دينه؟ من أين يأخذ مذهبه؟ ما يذهب يتعلم على يد أهل البدع كمحمد سرور زين العابدين مؤسسة سرورية! وعبد الرحمن عبد الخالق مؤسس جمعية إحياء التراث السرورية التي فتنت السلفيين في العالم إلا من رحم ربي! أو يتعلم على يد قادة الإخوان المسلمين كالقرضاوي والغزالي والزناداني ومن إليهم!، أو يتعلم على الجماعات التكفيرية كأسامه بن لادن وأيمن الظواهري ومن إليهم!، أو يتعلم على الصوفية كابن حفيظ وعلي الجفري وهم من المشركين المنددين! فلا بد أن تبين طريقك وتبين علماءك وتبين الكتب التي تدرس ويعلم بها المنهج الصحيح حتى لا يحال الإنسان إلى عمية أما تقول له: أطلب العلم عند أهل السنة، كل الطوائف هذه تقول بأنها من أهل السنة، الإخوان عندهم من أهل السنة، الخوارج

من أهل السنة، الصوفية يقولون هم أهل السنة، كلها دعاوى "والدعاوى إن لم تكن عليها بينات أصحابها أدعياء".

لكن لا نحن نذكر علمائنا علماء السنة والجماعة علماء السلف أصحاب الحديث أهل الخير والأثر والفقه ونظر لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بغير الجميل فهو على غير السبيل، وهؤلاء أئمة عرفوا بجلالتهم وإلا هناك علماء وهناك من كان مجددًا في زمنهم مثل: الشيخ النجمي على خير ودراية وعلم وتميز، وهكذا شيخ زيد المدخلي رحمه الله، وهكذا الشيخ الفوزان حفظه الله، والشيخ اللحيان حفظه الله، والشيخ عبد العزيز آل الشيخ، والشيخ عبد المحسن العباد، وكثيرهم علماء السنة في اليمن وخارج اليمن، فلا بد من أن الإنسان يذكر السلفي ويشيد به ويرغب في الحضور له ويدافع عنه ممن طعن فيه، وسيأتي ما يتعلق بشيخنا يحيى حفظه الله وبعض شأنه في الخاتمة.

- ونحن بفضل لنا نرى لعلمائنا قدرهم ومنزلتهم والدعاء لهم إلى غير ذلك مما لهم من الفضل بعد الله عز وجل علينا بتعليمنا وتدريسنا وتفهمنا والدفاع عن منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم والله المستعان.





الإيمان ببعض الغيبات

قوله: (الإيمان ببعض الغيبات) أي: المغيبات التي نص عليها القرآن والسنة، وفي هذا الباب رد على المعتزلة ومن سلك مسلكهم ممن ينكر هذه الأمور، فتجد أنهم ينكرون حقيقة السحر، وينكرون العين، وينكرون ما يتعلق بكرامات الأولياء، وينكرون المس وغير ذلك مما ثبتت به النصوص، فتعين على الكاتب في العقيدة: أن يبين المنهج الصحيح والطريق القويم الذي عليه أهل السنة والجماعة؛ حتى لا تلبس الأمور على جاهل أو على ملبس عليه.

قال رحمه الله:

- | | | |
|--|---|--|
| ١٤٧- وَالْعَيْنُ حَقٌّ نَصُّ قَوْلِ الْمُصْطَفَى | ✿ | يَا رَبَّنَا عَبْدُكَ يَرْجُوكَ الشُّفَا |
| ١٤٨- وَالْمَسُّ أَيضًا ثَابِتٌ بِالنَّقْلِ | ✿ | فَاخْذَرْ هُدَيْتَ رَدَّهُ بِالْعَقْلِ |
| ١٤٩- تَقْدِيمُهُ عَلَى نُصُوصِ الشَّرْعِ | ✿ | فِعْلُ الْحَيَارَى قَابِلُنْ بِالْمَنْعِ |
| ١٥٠- فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ ذَكَرَ السَّحْرَ | ✿ | طَرِيقُ شَرٍّ وَطَرِيقُ كُفْرٍ |
| ١٥١- تَدَاوَمْنَهُ بِرُقَى الْقُرْآنِ | ✿ | وَاخْذَرْ مِنَ الْعَرَّافِ وَالْكُهَّانِ |
| ١٥٢- تَصْدِيقُ الْعَرَّافِ كُفْرٌ أَكْبَرُ | ✿ | قَدْ جَاءَنَا فِي النَّصِّ لَيْسَ يُنْكَرُ |
| ١٥٣- فَحَقَّقِ الْإِيمَانَ بِالْغُيُوبِ | ✿ | جَمِيعَهَا وَأَقْلِعْ عَنِ الدُّنُوبِ |

الشرح

يقول: (وَالْعَيْنُ حَقٌّ) العين: هو مرض يقع للإنسان بسبب نظرة فيها نوع حسد، فيجتمع الشر الذي في عين هذا الرجل أو المرأة مع الشرية التي يطلقها

الشیطان، وربما أصیب المعیون بالعین فیلحقه کثیر من الضرر، إما حسًا وإما معنی، فکم من إنسان یكون حسن الصوت بالقرآن فإذا أصیب بالعین ذهب ذلك الحسن، وکم من إنسان یكون کثیر الحفظ فإذا أصیب بالعین قل حفظه، وربما کان صحیح البدن فإذا أصیب بالعین جاءه السقم، (نص قول المصطفى) فقد جاءت أحادیث عدة عن النبی صلی الله علیه وسلم: «العین حق»^(١)، وقال رسول الله صلی الله علیه وسلم: «العین تُدخِلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ، وَالْجَمَلَ الْقِدْرَ»^(٢)، أي: أنه ربما یلحقه به الوفاة، وقد رخص النبی صلی الله علیه وسلم فی الرقية من العین وأمر بذلك، فعلى الإنسان إذا قدر أنه أصیب بالعین وما فی معناها: أن یبادر ویحافظ على أذکار الصباح وأذکار المساء، والرقية الشرعیة، (یا رَبَّنَا عَبْدُكَ یَرْجُوكَ الشُّفَا) قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١]، قال العلماء: هذه الآیة فیها دلیل على العین؛ فإن الكفار قد كانوا یكیدون بالنبی صلی الله علیه وسلم وأرادوا أن یعینوه إلا أنها مرض من الأمراض یعنی: لا یتخوف منها الإنسان ذلك التخوف الذي ربما أدى به إلى الوسواس القهري، فقد یصاب بها الإنسان وتكون شديدة علیه، وقد یصاب بها الإنسان وتكون خفيفة علیه، ومع ذلك لكل داء دواء، فعلى الإنسان أن یبحث عن الدواء الذي یرفع به نزل من

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٧٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" (٩٠/٧).



الضرر.

(وَالْمَسُّ أَيْضًا ثَابِتٌ بِالنَّقْلِ) مس الإنسان بتلبس الشيطان، قال الله عز وجل:
 ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ
 الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، والمس قد يكون على نوعين:

النوع الأول: ما يكون بسبب؛ وهو: أن الساحر يرسل الشيطان على هذا
 الإنسان.

النوع الثاني: ما يكون بغير سحر، وإنما هو ترصد للشيطان والدخول في
 الإنسان؛ لأذيته أو نحو ذلك، ومما يدل على وجوده: أن الإنسان قد يتكلم بغير
 لغته، وإذا صُرِعَ يقوم من صرعته لا يدري ما فعل، وقد جاء في الحديث: (إِنِّي
 أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ) مع أن الصرع ينقسم إلى قسمين: **منهما:** يكون مرضًا
 حسيًا، ومنه ما يكون معنويًا؛ فإن كان المرض والصرع بسبب الشيطان فعلاجه
 في القرآن وصحيح السنة والأدعية الشرعية، قال النبي صلى الله عليه وسلم:
 «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»^(١)، وينكر هذا
 العقلانيون، يقولون: ما هناك مس، وربما تصل إلى بعض الدكاترة الرجل
 المريض بالصرع الشيطاني أو كذلك مريض بالعين ويقول لك: ما هناك مس
 ولا هناك عين، فيضرب الرجل بعلاجات ربما تؤدي إلى تلفه و إلى ضرره،
 (فَاحْذَرُ هُدَيْتَ رَدَّهُ بِالْعَقْلِ) يعني: رد هذا الشيء الثابت في القرآن والسنة ترده

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٦٤- (٢٢٠٠) عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

بالعقل، أن هذا ما يعقل أين هذا الجني؟! أين يجلس؟! أين يسكن؟! كيف يدخل؟!، قال النبي صلى الله عليه: «إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ»^(١)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ أَحَدِكُمْ بِجَرَى الدَّمِّ»^(٢).

(تَقْدِيمُهُ عَلَى نُصُوصِ الشَّرْعِ) يعني: احذر تقديم العقل على نصوص شرع كما هو مذهب المعتزلة الذين يقولون بتقديم العقل على النقل، ويزعمون: أن تقديم النقل طعن في العقل، والصحيح: العكس فإن النقل قد عرف ثبوته بالعقل وعرفت صحته بالعقل، فرد ما عرف صحته طعن في العقل كما عكسها عليه ابن القيم رحمه الله، (فِعْلُ الْحَيَارَى) هذا الفعل رد الشرع بالعقل فعل الحيارى الذي حاروا في شأنهم فقدموا زبالة أفكارهم (قَابِلُنْ بِالْمَنْعِ) قابلاً هو بالمنع وعدم النظر إليه والالتفات إليه.

(فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ ذِكْرُ السَّحْرِ) قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩]، وقال الله عز وجل: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ﴾ [يونس: ٨١]، وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ﴾ [طه: ٦٩]، وهكذا قال الله عز وجل: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٥٧- (٢٩٩٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١١٧٢) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

الْمَلَكِينَ [البقرة: ١٠٢]، أي: السحر لم ينزل على الملكين، ولكن أنزل على
 شيطانين ببابل هاروت وماروت، فالصحيح: أن هاروت وماروت ليسوا
 بملائكة وإنما هم من الشياطين؛ لأن الملائكة: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ
 وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، ولأن الملائكة يدلون إلى الرشد والخير، ما
 يدلون إلى الكفر والضير، وإنما الآية نزلت في شأن اليهود كانوا يعتقدون: أن
 سليمان إنما مُلِّك ذلك الملك بالسحر؛ لأنه حين مات سليمان عمد الجن إلى
 وضع بعض الكتب تحت كرسيه، فلما نقب الناس وجدوا السحر، فقالت لهم
 الشياطين: هذا السبب الذي من أجله ملك سليمان علينا، فأظهر الله عز وجل
 براءة سليمان من السحر: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا
 يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فتعلم السحر وتعليم السحر كفر أكبر
 مخرج من الملة، وأوسع باب للسحر: الشرك بالله، فكلما وقع الإنسان في
 الشرك بالله كلما كان أسحر من غيره، وكان أشد ضرر من غيره في هذا الباب،
 نسأل الله السلامة والعافية، وهذا الترجيح الذي ذكرته لكم رجحه القرطبي،
 وهكذا رجحه شيخنا يحيى حفظه الله في جمع من أهل العلم: أن هاروت
 وماروت ليسا بملكين، وإنما هم من الشياطين، (**طَرِيقُ شَرٍّ**) يعني: ذكر القرآن
 أن السحر طريق شر، قال تعالى: ﴿وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩]،
 (**وَطَرِيقُ كُفْرٍ**) طريق الكفر، قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا
 نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وأيضًا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ

مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿[البقرة: ١٠٢]﴾، وأيضًا يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»^(١)، كيف يكفر السائل ولا يكفر الساحر؟! فإذا كان السائل يكفر فالساحر أكفر؛ لأن الساحر يدعي علم الغيب، وربما امتهن القرآن، وربما امتهن العبادات وصلى بغير طهارة، يلزمه الجن أن يصلي بغير طهارة، وأن يذبح على غير اسم الله، وربما كتب القرآن بدم الحيض، لا بد أن يتقرب إلى الجن حتى يتقرب إليه الجن فيستمع بعضهم ببعض، فكلما كان للجن أطوع كان الشيطان له أطوع، وكلما كان بعيدًا عن الشيطان كان الشيطان منه بعيد.

(تَدَاوَى مِنْهُ بِرُقَى الْقُرْآنِ) يعني: إذا ابتليت بالسحر أو المس أو العين، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً»^(٢)، يعني: يتداوى منه بالرقية الشرعية والأدعية من الآيات القرآنية، وهكذا ما في بابه من السنة النبوية، ولا بأس أيضًا بكل ما لم يرد في القرآن والسنة ما لم يكن شرك؛ لأن الأصل في الرقية التوسعة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»^(٣)، فلو قلت: اللهم اشفه، اللهم اشفه، اللهم عافه، اللهم أذهب ما به، اللهم ارفع ما به، كل هذا جائز، ولو قرأت الآية كذا

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٩٥٣٦) عن أبي هريرة والحسن رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٣٤٣٨) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: ٦٤- (٢٢٠٠) عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

كذا مرة بدون تقييد، تارة خمس، وتارة ست، وتارة سبع، وتارة ثلاث، وتارة مرتين، وهكذا، ولو الفاتحة عدة مرات كل هذا لا محذور فيه؛ لأن الإنسان بتجربته قد يصل إلى شيء مما ينفع الله عز وجل به، **(وَإِخْذَرُ مِنَ الْعَرَّافِ وَالْكُهَّانِ)** لأن كثير من الناس إذا أصيب بالعين أو المس أو السحر يذهب إلى العرافين والكهان وهم السحرة، إلا أن العراف هو الذي يذكر ما كان في الأمور الماضية كالسرقات ونحوها، والكاهن يذكر ما كان في الأمور المستقبلية، وتجد لأهل العلم في هذا الموطن كلام من حيث صحة النشرة من عدم النشرة، وقد جاء عن بعض السلف الترخيص في النشرة، وجاء عن بعض السلف المنع من النشرة، والمرخص فيه ما كان من القرآن والسنة والأدعية الشرعية التي لا تخالف الشرع، والممنوع ما كان من الشركيات والبدع والخرافات.

(تَصْدِيقُ الْعَرَّافِ كُفْرٌ أَكْبَرُ) لما تقدم من حديث أبي هريرة وجابر، وأصح منه حديث ابن مسعود وحديث عمران حصين: **«مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»**^(١)، وقال صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ بَرِيَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ أَنَاهُ غَيْرَ مُصَدِّقٍ لَهُ، لَمْ يُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»**^(٢)، وكما في حديث امرأة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ لَمْ يُقْبَلْ لَهُ**

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٩٥٣٦).

(٢) أخرجه الدارقطني في "المعجم الأوسط" حديث رقم: (٦٦٧٠).

صَلَاةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»^(١)، وما جاء في كتاب "التوحيد": (فَصَدَّقَهُ) زيادة غير موجودة في الحديث، فكلمة (فَصَدَّقَهُ) زيادة غير موجودة في الحديث؛ لأن الذي يصدق كافر، وغير المصدق لا تقبل له صلاة أربعين يومًا، (قَدْ جَاءَنَا فِي النَّصِّ لَيْسَ يُنْكِرُ) ما تقدم من الأحاديث.

(فَحَقَّقِ الْإِيمَانَ بِالْغُيُوبِ ❦ ❦ ❦ جَمِيعَهَا) بجميع الغيب الذي ذكره الله عز وجل في كتابه، وذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح سنته، كما قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، (وَأَقْلِعْ عَنِ الذُّنُوبِ) يعني: حاول بقدر المجاهدة، فعلى الإنسان أن يتعد عن الذنوب؛ لفساد ما يصل إليه الإنسان، نسأل الله السلامة والعافية؛ فإن كثير من البلاء يلحق المسلم بسبب ذنوبه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].



(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٦٦٣٨).

الأسماء والأحكام

هذا الباب أيضاً مختصر، نمر عليه يعني: "الأسماء والأحكام" متى يكون الإنسان كافرًا؟ ومتى يكون مسلمًا؟ وهكذا: النفاق وأنواع النفاق، وأنواع الكفر؛ لأن هذه المسميات غلط الناس فيها، فتجد أن الخوارج كل كفر عندهم أكبر، وكل نفاق عندهم اعتقادي، وكل ظلم عندهم كفر، بينما أهل السنة يقسمون تقسيمات يستفيدونها؛ حتى لا يقع الإنسان في الأحكام الجائرة.

قال رحمه الله:

- ١٥٤- وَالْكَفْرُ كُفْرَانٍ فَكُفْرٌ أَكْبَرُ ❀ ثَانِيهِمَا هُوَ الْمُسَمَّى الْأَصْغَرُ
- ١٥٥- وَهَكَذَا تَقُولُ فِي النَّفَاقِ ❀ وَمِثْلُهُ صَرْبَانٍ فِي النَّفَاقِ
- ١٥٦- وَمِثْلُهُ فِي الْقَوْلِ فَعَلُ الظُّلْمِ ❀ فَحَقَّقِ الْقَوْلَ وَخُذْ بِنَظْمِي
- ١٥٧- وَأَحْذَرْ أُخِيَّ بِدْعَةَ فِي الدِّينِ ❀ وَالزَّمْ سَبِيلَ الرُّشْدِ وَالْيَقِينِ
- ١٥٨- فَالْبِدْعَةُ الصُّغْرَى هِيَ الْمُفْسِقَةُ ❀ وَالبِدْعَةُ الكُبْرَى بِنَارٍ مُحْرِقَةٍ
- ١٥٩- وَأَحْذَرْ أُخِيَّ الطُّرُقَ العُويَّةَ ❀ شَرُّ أَتَانَا سُبُلٌ رَدِيَّةَ
- ١٦٠- مِنْهَا فَحَاذِرُ فِرْقَةِ الحَزْبِيَّةِ ❀ وَهَكَذَا تَلَحُّقُهَا الجَمْعِيَّةَ
- ١٦١- وَالشُّرْكَ مِنْهُ أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ ❀ فَلْتَحْتَنِيْبُهُ إِنَّهُ لَا يُعْفَرُ
- ١٦٢- دَلِيلُهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ ❀ مِنْ غَيْرِ إِشْكَالٍ وَلَا ائْتِرَاءِ
- ١٦٣- إِلَّا بِتَوْبَةٍ قُبِيلَ المَوْتِ ❀ مَا مِنْ لِقَاءِ رَبَّنَا مِنْ فَوْتِ
- ١٦٤- وَرَجْمُ زَانٍ مُحْصَنِ فِي الشَّرْعِ ❀ فَاحْذَرْ أُخِيَّ قَائِلًا بِالْمَنْعِ

- ١٦٥- مِنْ دِينِنَا الْمَسْحُ عَلَى الْخُفَّيْنِ ❦ وَفِي صَلَاةِ صَمُّ ذِي الْيَدَيْنِ
 ١٦٦- وَهَكَذَا إِسْرَارُنَا بِالْبَسْمَلَةِ ❦ فَحَقَّقْنَا أَحْيَى هَذِي الْمَسْأَلَةَ

الشرح:

يقول: (وَالكُفْرُ كُفْرَانٍ فَكُفْرٌ أَكْبَرُ) أولهما: كفر أكبر مخرج من الملة؛ كعبادة الأصنام والأوثان، (ثَانِيَهُمَا هُوَ الْمَسْمَى الْأَصْغَرُ) وثانيهما: كفر أصغر غير مخرج من الملة؛ كقتال المسلم، فقتاله كفر، وهكذا إذا قلت لأخيك: يا كافر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرٌ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»^(١)، فهذا كفر غير مخرج من الملة، هكذا جاءت النصوص والأدلة، فلا بد من التحقيق، وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»^(٢)، فما معنى: (كَافِرٌ بِي)؟ أي: إن كان يعتقد أن الكوكب هو الذي يخلق المطر ويوجد المطر، فهذا كفر أكبر مخرج من الملة، وإن كان يعتقد أن الكوكب وقت لنزول المطر وسبب لنزول المطر هذا من الشرك الأصغر، فالشرك الأصغر ربط المسببات يعني: يسمي بشرك الأسباب، أي: كربط الحلقة والخيط ونحو ذلك، فلا بد فيها من التفصيل.

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦١٠٤) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٨٤٦) عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.



(وَهَكَذَا تَقُولُ فِي النِّفَاقِ) أيك نفاق أكبر اعتقادي، كالشك في الإسلام، والشك في النبي صلى الله عليه وسلم، وإظهار الإسلام وإبطان الكفر، وهكذا تقول: نفاق أصغر، ونفاق عملي: إذا تحدث كذب، أو وعد أخلف، وإذا أوثمن خان، قال صلى الله عليه وسلم: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أَوْثَمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(١)، المراد به: النفاق العملي، وهكذا: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أَوْثَمِنَ خَانَ»^(٢)، المراد به: النفاق العملي ليس المراد به النفاق الاعتقادي؛ فإن هذه الأعمال قد توجد من مسلم، (وَمِثْلُهُ ضَرْبَانِ فِي الْفَسَاقِ) أيضًا الفاسق نوعان: فاسق ميلي يعني: فسقه لا يخرج من الإسلام، كأن يكون عنده كذب، عنده زنا، عنده عقوق، هذا فاسق لكن لا يخرج ذلك من الإسلام، والنوع الثاني: الفسق الأكبر، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩]، أي: هم الكافرون الذين فسقوا بالخروج من التوحيد إلى الشرك والتنديد.

(وَمِثْلُهُ فِي الْقَوْلِ فِعْلُ الظُّلْمِ) الظلم أيضًا إلى ينقسم إلى قسمين: ظلم أكبر مخرج من الملة، هو الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. وظلم أصغر غير مخرج من الملة، قال صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٤) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الظلم، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)، (فَحَقَّقِ الْقَوْلَ) أي: بهذا التقسيم، (وَخُذْ بِنَظْمِي) حتى لا تقع في برائين الخوارج الذين يكفرون بمطلق المعصية، وأيضاً حتى لا تقع في برائين المرجئة الذين يزعمون أن فاعل هذه الأشياء لا تؤثر على إيمانه فأيمانه مثل إيمان جبرائيل وميكائيل.

ثم قال: (وَأَحْذَرُ أَخِيَّ بِدْعَةً فِي الدِّينِ) وهي: الدين الذي لم يشرعه الله، والبدعة هي: الحدث، فقولنا: (الدِّينِ) خرج به العادات التي يفعلها الناس، وقولنا: (لم يشرعه الله) خرج به العبادات التي شرعها الله، (وَالزَّمْ سَبِيلَ الرُّشْدِ) الذي هو الكتاب والسنة، (وَالْيَقِينِ) الذي هو بعيد عن الشك، والبدعة أحب إلى إبليس من المعصية كما قال سفيان وغيرها: (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها)؛ وذلك أن المبتدع يتدين ببدعته الآن الذي يطوف حول القبور يتدين بهذا الطواف وربما اعتبرها عبادة يبذل من أجلها الأموال ويبذل من أجلها الأوقات وينظر من أجلها، بينما الزاني والسارق يرى نفسه أنه عاصي؛ فلذلك البدعة لا يتاب منها وحديث: «إِنَّ اللَّهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبٍ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ»، أي: أنه لا يوفق للتوبة، كما قال الإمام أحمد.

ثم قال: (فَالْبِدْعَةُ الصُّغْرَى هِيَ الْمَفْسُقَةُ) البدعة الصغرى كالحزبية، وبدعة الموالد، وبدعة التشيع هذه بدع مفسقة، (وَالْبِدْعَةُ الْكُبْرَى بِنَارٍ مُحْرِقَةٍ) يعني:

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٥٦- (٢٥٧٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

مكفرة كبدعة الجهمية، وبدعة الرافضة الذين يسبون الصحابة ويعبدون القبور
 ويطعنون في القرآن، وبدعة الباطنية الذين يستحلون ما حرم الله ويشركون
 وينددون، وهكذا فلا بد من هذا التقسيم؛ حتى لا تقع في تكفير من لم يصل إلى
 الكفر، فقله: **(فَالْبِدْعَةُ الصُّغْرَى هِيَ الْمُنْسَقَةُ)** واحد يعمل مولد لكن يقول: يا
 الله، أو لا إله إلا الله أو نحو ذلك، هذا فاسق، لكن واحد يعمل موالد ويقول: يا
 رسول الله اغفر لي، يا رسول الله ارحمني، يا رسول الله أجرني من النار، هذا
 كفر فهو كافر.

(وَاحْذَرِ أَيْ الطُّرُقَ الْغَوِيَّةَ) جميع المخالفة للكتاب والسنة، احذر جميع
 الطرق المخالفة للكتاب والسنة، **(شَرُّ أُنَانَا سُبُلٌ رَدِيَّةٌ)** لا سيما في هذه العصور
 المتأخرة، هناك بدع جديدة، فالسلف تكلموا عن البدع القديمة وأخبروا عن
 أصول البدع كالجهمية، والمرجئة، والخوارج، والرافضة، أما الآن عندك كم
 من البدع؟! عندك حزبيات، وسروريات، وإخوان، وتبليغ، وديمقراطيات،
 عندك أشياء كثيرة تحتاج أن تكون على حذر من جميع أنواع البدع؛ حتى لا
 يلتبس عليك الأمر.

(مِنْهَا فَحَاذِرُ فِرْقَةِ الْحِزْبِيَّةِ) وكلمة: **(حِزْبِيَّةٌ)** هذه كلمة واسعة، ليس فقط على
 الإخوان المسلمين، فالإخوان المسلمون من الحزبيين، وليسوا كل الحزبيين،
 فتجد هذا حزب التحرير المعتزلي، وذاك حزب الإصلاح الإخواني، وذاك

الحزب السروري، وذاك الحزب المناوي لأهل السنة والجماعة المحارب لدعوتهم؛ كحزب المرعيين ونحو ذلك.

فالشاهد: أن كل من تحزب وتجمع لمخالفة الشرع والضرر بأهل السنة يلحق بهم :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ❀❀ إن القرين إلى المقارن ينسب **(وَهَكَذَا تَلَحُّقُهَا الْجُمُعِيَّةُ)** الجمعيات هي حزبية مغلقة، في مبدأها ثم تصل بالإنسان إلى المخالفة لمنهج السلف، انظروا إلى جمعية إحياء التراث الإسلامي بدأت على أنها تعين الناس على بناء المساجد، وتكفل الأيتام والأرامل وطلاب العلم، وتطبع الكتب، وتعين الدعاة إلى الله عز وجل، وانتهى بها الأمر إلى أن وصلت إلى تمزيق المسلمين، واعتقاد وتمجيد ما يعتقد السرورية من الخروج على الأحكام والتكفير ونحو ذلك من الأهواء المردية.

(وَالشُّرْكُ مِنْهُ أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ) أيضاً الشرك كما قسمت الكفر إلى كفرين، والنفاق إلى نفاقين، والظلم إلى ظلمين، والفسق إلى فسقين، والبدعة إلى بدعتين، فكذلك الشرك ينقسم إلى قسمين: شرك أكبر مخرج من الملة كعبادة غير الله بالندر، أو الدعاء فيما لا يقدر عليه إلا الله، والذبح لغير الله ونحو ذلك، وشرك أصغر غير مخرج من الملة؛ كيسيير الرياء، وكذلك قول الرجل: ما شاء الله وشئت، ونحو ذلك الحلف بغير الله سبحانه وتعالى، **(فَلْتَجَنَّبْنَاهُ إِنَّهُ لَا يُغْفَرُ)** أي: من مات على الشرك لا يُغفر له لا الشرك الأصغر ولا الأكبر، إلا أن الفرق

أن الشرك الأكبر صاحبه يخلد في النار والشرك الأصغر صاحبه يخرج من النار،
 الشرك الأكبر يحبط جميع العمل، والشرك الأصغر إنما يحبط العمل الذي
 داخله، **(دليله في سورة النساء)** قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ
 مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ذكرها الله في سورة النساء في موطنين،
 والمعنى: أن الله لا يغفر إشراكاً به لا أكبر ولا أصغر، هذا في حق من مات عليه،
 أما من تاب في الدنيا تاب الله عليه، لكن نحن في من مات على الشرك، **(من غير
 إشكال)** ما فيها أي إشكال آية ظاهرة الدلالة، **(ولا امتراء)** لا نحتاج فيها إلى
 كثير جدال.

(إلا بتوبة قبيل الموت) يعني: من تاب قبل أن يموت تاب الله عليه، قال
 تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]،
 فالتوبة تهدم ما قبلها وتجب ما قبلها إذا توفرت شروطها: فكانت قبل الغرغرة،
 وقبل طلوع الشمس من مغربها، **(ما من لقاء ربنا من فوت)** يعني: لا بد أن نلقى
 الله عز وجل فليس ببعيد وليس أمر ممنوع، بل هو حاصل لا محالة، قال تعالى:
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

(ورجم زان محصن في الشرع فاحذر أخي قائلاً بالمنع) قال به من المتقدمين
 المعتزلة، والجهمية، والخوارج، وقال به من المتأخرين كثير من الإخوان
 المسلمين كالقرضاوي، والغزالي ومن إليهم، مع أن عمر بن الخطاب قال: لَقَدْ
 حَشِيتُ أَنْ يَطْوَلَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ حَتَّى يَقُولَ قَائِلٌ: مَا أَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ،

فَيُضَلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، أَلَا وَإِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ، إِذَا أَحْصِنَ الرَّجُلُ وَقَامَتِ الْبَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ حَمْلٌ أَوْ اعْتِرَافٌ، وَقَدْ قَرَأْتُهَا: (الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنِيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَيِّنَةَ)، رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ^(١)، وقد رجم النبي صلى الله عليه وسلم ماعزًا، ورجم المرأة الغامدية، ورجم يهودي ويهودية زنيا، وبشرط: أن يكون الزاني محصنًا، أما الزاني البكر فلا يرجم وإنما يجلد.

(من ديننا المسح على الخفين) هذه مسائل فقهية، لكن ذكرت في هذا الموطن؛ لأن المبتدعة قد خالفوا فيها، فالرافضة يرون المسح على القدمين وبيدعون المسح على الخفين، بينما السنة جاءت بالمسح على الخفين لا المسح على القدمين، وإنما تغسل القدمان إذا لم يكن عليها خفاف، وشرط المسح على الخفين: إن تدخل على طهارة، فعن الْمُغِيرَةَ بن شعبة رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَأَهْوَيْتُ لِأَنْزِعَ خَفِيَّهِ، فَقَالَ: «دَعْمَا، فَإِنِّي أَدْخَلْتُهَا طَاهِرَتَيْنِ». فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا^(٢)، (وَفِي صَلَاةِ صَمِّ ذِي الْيَدَيْنِ) ذكرنا هذا؛ لأن هناك من يخالف كالمالكية، والإباضية، والشيعية كلهم يرسلون أيديهم في حال صلاتهم ولا دليل معهم على ذلك؛ فإن هذا الفعل مخالف لسنة النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث سهل في "الصحيح": قَالَ: «كَانَ النَّاسُ

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٢٥٥٣).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٠٦).

يُؤْمَرُونَ أَنْ يَضَعَ الرَّجُلُ الْيَمْنَى عَلَى ذِرَاعِهِ الْيُسْرَى فِي الصَّلَاةِ^(١)، وحديث وائل بن حجر إلى غير ذلك.

(وَهَكَذَا إِسْرَارُنَا بِالْبِسْمَلَةِ ❀❀ فَحَقَّقْنَا أُخِيَّ هَذِي الْمَسْأَلَةَ) وهكذا من السنة:

الإسرار بالبسملة، والجهر بها الصحيح: أنه لا يصل إلى حد البدعة، لكنه مخالف للثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "يَسْتَفْتِحُ الصَّلَاةَ بِالتَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ، بِ(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)^(٢)، وقد ألفت الدار قطني رحمه الله رسالة وخرج: أنه لا يثبت شيء في الجهر بالبسملة، مع أنه رجح الجهر بالبسملة من حيث الترجيح، لكن لما سُئِلَ: هل ثبت فيها شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: لم يثبت شيء، وكان شيخنا مقبل رحمه الله قد صحح حديث أبي هريرة عند أبي داود، وذكره في "الجامع الصحيح" وبوب عليه: باب الجهر والإسرار بالبسملة والإسرار أفضل، وذكر حديث: حديث أبي هريرة أنه صلى بهم وقال: أصلي بكم صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا الحديث هذه الزيادة معلولة من رواية نعيم بن مجمر فإنه زادها في الحديث، وقد خالفه أكثر من ثمانمائة راوي عن أبي هريرة كلهم لم يذكر هذه الزيادة، فهي زيادة شاذة، والشاذ خطأ غير معمول به.

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٤٠).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٤٠- (٤٩٨).

قال الأمر بالاتباع وذم التقليد

- وهذا الباب من مهمات العقيدة؛ إذ أن المشركين عبدوا غير الله عز وجل بالتقليد، قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]. وكذلك أهل البدع سلكوا هذا المسلك فوقعوا في الظلال البعيد، وسفيان رحمه الله تعالى يقول: (وجدنا الأمر كله في الاتباع)، فعلاية هداية المرء: الاتباع للكتاب والسنة، وعلامة ضلال المرء: البعد عن الكتاب والسنة.

- ولذلك قال المصنف رحمه الله:

- | | | | | |
|------|---|---|---|---|
| ١٦٧- | ❦ | وَاسْلُكْ هُدَيْتَ لِطَرِيقِ الْجَنَّةِ | ❦ | إِذْ أَنَّهُ الْقُرْآنُ ثُمَّ السُّنَّةُ |
| ١٦٨- | ❦ | وَخُذْ بِإِجْمَاعٍ إِذَا كَانَ ثَبَتٌ | ❦ | فَإِنَّهُ شَرْعٌ بِهِدَا قَدْ أَتَتْ |
| ١٦٩- | ❦ | نُصُوصٌ وَوَحْيِ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ | ❦ | فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَظِيمِ الشَّانِ |
| ١٧٠- | ❦ | وَاحْذَرْ قِيَّاسًا خَالَفَ الْأَدْلَةَ | ❦ | وَسَمِّ رَأْيَا بِئْسَ ذَا مَن خَصَلَهُ |
| ١٧١- | ❦ | مَشْهُورُهُمْ بِهِ أَبُو حَنِيفَةَ | ❦ | رَدَّ بِهِ الْأَدْلَةَ الشَّرِيفَةَ |
| ١٧٢- | ❦ | وَاحْذَرْ أَحْيَىٰ فِتْنَةَ التَّقْلِيدِ | ❦ | إِذْ تَجَعَلُ الْعَالِمَ كَالْبَلِيدِ |
| ١٧٣- | ❦ | يَتْرُكُ قَوْلَ اللَّهِ ثُمَّ الْمُصْطَفَىٰ | ❦ | مَنْ أَجَلِ قَوْلِ شَيْخِهِ الَّذِي قَفَا |

١٧٤- وَشَرُّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ ❁ فِي سُورَةِ الزُّخْرُفِ كَالْتَّبَيَّانِ

الشرح:

يقول: (وَاسْأَلْكَ) أي: امضي في هذا الطريق، (هُدَيْتَ) دعاء له بالهداية إلى الخير والرشاد وطريق الجنة، (لِطَرِيقٍ) للسبيل الموصل إلى (الْجَنَّةِ) قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]؛ (إِذْ أَنَّهُ الْقُرْآنُ ثُمَّ السُّنَّةُ) ولا تظن أن بين القرآن والسنة تفاوت حتى وإن قيل لك: تمسك بالقرآن والسنة، فهما بمعنى وحي واحد، إنما السنة هي مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم ويدخلها الصحة والحسن والقبول والرد والضعف بالنظر إلى نقلتها، وإلا من حيث الحجية فكلاهما وحي الله عز وجل ينبغي أن يقام به، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الْقُرْآنُ مُشَفَّعٌ - أَوْ شَافِعٌ - وَمَاجِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ إِمَامَةً قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ»^(١)، والسنة هي: طريقة النبي صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية والاعتقادية، وأدخل فيها أهل العلم الأهمية والتركية كله من السنة، والسنة كذلك المالية، وربما يدخل فيها الوصفية من حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم موصوف بهذه الصفات، وقد تكون صفات خاصة به غير متعددة لكنها من العلم.

(١) أخرجه ابن حبان حديث رقم: (١٢٤). وصححه الألباني في الصحيحة برقم: (٢٠١٩).

(وَأُخِذَ بِإِجْمَاعٍ) هذا هو الدليل الثالث؛ لأن عندنا ثلاثة أدلة: متفق عليها الكتاب والسنة والإجماع، لكن ليس الإجماع على إطلاقه؛ لأن بعض الإجماعات ما تثبت إجماعات الظنية، وبعض العلماء يرى أن خلاف الواحد والاثنين لا يضره، وهذا غير صحيح إنما لا يضر إذا كان المخالف مبتدعاً بخلاف الجهمية لأهل السنة، وخلاف الرافضة لأهل السنة، وأما إذا كان عالماً وخالف فإنه ينقض الإجماع، والإجماع هو اتفاق أهل عصر مجتهد أهل عصر على حكم من الأحكام، وإذا قد ثبت الإجماع لا يجوز نقضه ولا يكون الإجماع الصحيح إلا على نص، فيقول: (إِذَا كَانَ ثَبُتٌ) خرج به الإجماع الغير ثابت؛ ولهذا وجد أن المبتدعة أو بعض من لا يعرف الشيخ مقبل يطعن فيه بأنه لا يقبل الإجماع، والشيخ مقبل يقول: (ائتوني بإجماع ثابت خالفته) إنما مثل إجماعات النووي غيرها غير ثابت، وإجماعات ابن عبد البر بعضها غير ثابت، بل إجماعات ابن المنذر مع أنه يقول: "الإجماعات لابن المنذر" تجده يقول: واجمعوا على كذا وكذا، وخالف الحسن وعطاء خلاف الحسن، والعطاء معتبر، وهو يرى أن قوله الأكثر إجماع، أما إذا ثبت إجماع فهو حجة، فهذه ثلاثة أدلة: القرآن، والسنة، والإجماع،

وبعضهم أدخل: القياس، لكن الصحيح: أن القياس ليس بحجة على إطلاقه لا سيما إذا كان القياس قائماً على الرأي وعلى الهوى وعلى الميل، وأشهر من عرف بالقياس: الحنفية؛ ولهذا ذمهم العلماء قديماً وحديثاً، وكان

شيخنا مقبل رحمه الله تعالى يقول: (للعالم أن يقيس لكن لا يلزم غيره بالقياس) وإن شئت أن تسمي ذلك الذي يسمونه قياسًا، وإن شئت أن تقول: هو راجع إلى عموم الأدلة، **مثلاً**: الآن حين نتكلم عن الديمقراطية ونقول: الديمقراطية كفر، ما الدليل؟ نقول: قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، وقوله: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، أدلة في الباب، فبعض أهل العلم يقول: هذا قياس على كذا، فنقول: ليس قياس هذه عمومات الأدلة، **مثل**: الذين يحرمون الحشيشة أصحاب القياس يقولون: قياس على الخمر، نحن نقول: ما نحتاج إلى القياس هنا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»^(١)، خلاف بيننا في هذه الناحية، لفظي إذا كان الحكم بعموم الأدلة وأما القياسات المخالفة للأدلة فكثيرة، (فإنه شرع بهذا قد أتت) قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، استدلل الشافعي بهذه الآية على إثبات الإجماع؛ لأنه طلب منه دليل من القرآن على الإجماع، فمررت على المصحف مرتين ثم في الثالثة استنبط من هذه الآية: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، والمؤمنون هم الصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان، فإذا اجمعوا على شيء فهو

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٧٣- (٢٠٠٣).

حجة.

(نُصُوصٌ وَوَحْيٌ رَبَّنَا الرَّحْمَنُ ❦❦ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَظِيمِ الشَّانِ) إذ بين لنا الشرع

ولم يتركنا هملاً، ولا ولم يخلقنا عبثاً.

(وَاحْذَرُ) أيها الطالب: (قِيَّاسًا) لأن هذا من الأدلة عند جمهور العلماء

القياس، وأيضاً ما يسمى بالاستصحاب، وكثير من المسائل، لكن هذا الدليل

الرابع عند الجمهور، وأما ما اجمع عليه هي الثلاثة: القرآن والسنة والإجماع،

والقياس عند الجمهور من الأدلة لكن على المعنى الأول: القياس صحيح؛ كما

نقل ابن القيم أن القياس ينقسم إلى قسمين:

١- قياس صحيح.

٢- وقياس فاسد.

- وهكذا الرأي ينقسم إلى قسمين:

١- رأي صحيح موافق للأدلة.

٢- ورأي فاسد، فالذي يجب علينا أن نتركه وأن نكون في مناء ومنهه عنه

الفاسد؛ ولهذا عبر المصنف بقوله: (وَاحْذَرُ قِيَّاسًا خَالَفَ الْأَدْلَةَ) فلم يقل:

(احذر القياس مُطلقاً)، وابن حزم رحمه الله له مؤلف اسمه "الصادع يرد

القياس مُطلقاً"، (وَسَمَّ رَأْيًا بِئْسَ ذَا مِنْ خَصَلَةٍ) يعني: هذا القياس الذي يخالف

الأدلة سمه: (الرأي)؛ ولهذا سمي أصحاب الكوفة بـ(الرأيين)؛ لأنهم كانوا

يقدمون الآراء على الأدلة، والمراد بالرأي الفاسد: الذي يقوم على الهوى أو

العقل الكاسد أو على القياس غير متحد الأطراف أو متحد العلة، والمناض يعني: يقيس لك قياسات لا أثر لها.

(مَشْهُورُهُمْ بِهِ) أي: اشتهر بهذا النوع: (أَبُو حَنِيفَةَ) النعمان بن ثابت الذي ينسب إليه مذهب الحنفية، ويضاف إليه أيضًا أبو يوسف يعقوب القاضي، وهكذا محمد بن الحسن، كلهم من رؤوس الحنفية، وقد ذمهم العلماء باتباع الرأي وترك الأدلة، (رَدَّ بِهِ الْأَدْلَةَ الشَّرِيفَةَ) الأدلة الصحيحة، تأتي إلى حديث أبي هريرة في "الصحيحين": "أن النبي صلى الله عليه وسلم (حكّم في المصراة أن يردها ويرد معها صاعًا من تمر) يقول: لا ما يرد معها شيء، لماذا؟ يقول: هذا أخذ لمال للناس بغير حق، كيف أخذ مال الناس بغير حق والنبي صلى الله عليه وسلم قد حكم برد صاع من تمر؟!، أنت قد أخذت اللبن منها وشربته وانتفعت به، وربما خرج منه السمن؛ لأنها تبقى عند صاحبها المشتري لها ثلاثة أيام يحلب ويشرب ويستخرج منها السمن والدهن؛ فلذلك يرد معها صاع من تمر كأنه قيمة اللبن، وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باليمين مع الشاهد، قالوا له: هذا يخالف الأدلة، كيف خالف؟ يعني: يخالف الأصول وهو أصل حديث في "الصحيح"، وهكذا القسامة، القسامة: اليمين على المدعين، قال: لا هذا يخالف الأصل، الأصل: أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر.

فالشاهد: أنه كان يخالف الأدلة خلافًا صريحًا واضحًا؛ حتى أن بعض

العلماء كفره واستتابه في ذلك مرارًا، عرض على السيف ثلاث مرات كما يقول غير واحد من أهل العلم، وهو منقول في كتاب شيخنا "نشر الصحيفة في الصحيح من أقوال أدلة في الصحيح من أقوال أهل العلم في أبي حنيفة".

ويذكرون له صفة صلاة فيقول: إن كان النبي صلى الله عليه وسلم صلى هكذا فصلاته باطلة، يعني: جرأة عند أبي حنيفة النعماني، والسبب: أنه من أصحاب الرأي، وقد ذمه العلماء قديمًا وحديثًا كان يسميه الحميدي بأبي جيفة، وكان بعضهم يتحرج أن يذكره في الحرم، قال: ما أذكره في الحرم، بل البخاري ما ذكره في "صحيحه" يقول: (في هذا الحديث رد على بعض الناس، لا كما يقول بعض الناس)، حتى قال بعضهم: الكلام في أبي حنيفة إجماع، وفي ترجمته في "تاريخ بغداد" الكثير الكثير الواسع من أقوال أهل العلم فيه، وهكذا في آخر "مصنف بن أبي شيبة" كتاب "جامع الرد على أبي حنيفة" وهكذا في السنة لعبدالله بن أحمد مئات الآثار في الرد على أبي حنيفة رد به الأدلة الشريفة.

(وَاحْذَرُ أَخِيَّ فِتْنَةَ التَّقْلِيدِ) اتباع قول القائل بغير حجة، تقليدنا قبول قول

القائل بغير ذكر حجة للسائلين، أما إذا كان بحجة من الكتاب والسنة فهذا ليس بتقليد، **(إِذْ تَجْعَلُ الْعَالِمَ كَالْبَلِيدِ)** العالم الذي يستطيع أن يميز بين الأدلة ويرجح بينها تجعله كالبليد، إنما يأخذ بقول من يقلده؛ ولهذا أوجب ابن رجب رحمه الله وعفا عنه في هذه اتباع مذهب معين تقليدًا؛ لأن عندهم قاعدة: أن الاجتهاد انتهى في زمن الأئمة الأربعة، فما معك إذا أردت أن تعبد الله إلا أن تتبع أحد

المذاهب، ما يجوز لك أن تأخذ من مذهب الشافعي ومن مذهب أبي حنيفة ومن مالك من مذهب أحمد، لا خذ مذهب واحد حتى وإن خالف الأدلة عندهم، هذا غير صحيح، نحن ما تعبدنا الله عز وجل بقول أحمد، ولا بقول أبي حنيفة، ولا بقول مالك، ولا بقول الشافعي، نحن نتعبد الله بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم كيف كان الناس قبل خروج هؤلاء على أي مذهب كانوا؟ كانوا على الكتاب والسنة، إذا نسلت الكتاب والسنة، فالقول بوجوب التمدد زلة كبيرة لابن رجب رحمه الله، فالمذهبية هذه فرقت الأمة، ذكر المعصومي رحمه الله: أن أهل اليابان أرادوا الدخول في الإسلام فهو منهم، فلقى أناس من الأحناف قالوا: نريد أن ندخل في الإسلام، قالوا لهم: إذا على مذهب الشافعي فأنتم كفار، ولقوا ناس من الشافعية قالوا لهم: إذا دخلتم في الإسلام على مذهب أبي حنيفة فأنتم كفار، قال: نحن نفر من الكفر إلى الكفر، فوقع في اضطراب عجيب، بل إن بعضهم يقول: لولا هذه الحال إن اليابان الآن بلاد مسلمة؛ لأن الإمبراطور هو الذي أرسل يعني: يريد أن يدخل أمته في الإسلام، فبسبب هذه الحادثة وقع ما وقع، ثم ألف المعصومي رحمه الله رسالة في الرد على هذا يعني: التمدد لمذهب معين والأخذ به تقديمه على الأدلة، وكان لهم في الحرم أربعة محارِب: محراب يصلي فيه الشافعي، ومن وراءه من الشافعية في آن واحد في وقت واحد، ومحراب للحنفي ومن واره، ومحراب للمالك ومن واره، ومحراب الحنبلي ومن واره، وكان الزيدية أيضًا يطالبون

بمحراب يريدون يكون لهم مذهب خامس مع أن مذهبهم الصحيح أنه حنفي،
الزيدية في العقيدة معتزلة، وفي العبادات حنفية.

(يَتْرُكُ قَوْلَ اللَّهِ ثُمَّ الْمُصْطَفَى) أي: المقلد يترك قول الله ثم المصطفى: (مِنْ)

أَجَلِ قَوْلِ شَيْخِهِ الَّذِي قَفَا) من أجل قول شيخه الذي سلك سبيله وقفا طريقه،

انتهج طريقه، حتى أن بعضهم يقول: وجدنا النص يقول بكذا، لكن المذهب

يقول كذا، فيرجح قول المذهب مع ظهور الأدلة لديه، عنده القدرة على

الترجيح، عنده علم بالناسخ والمنسوخ، وبالعام والخاص، والمطلق والمقيد،

والمجمل والمفصل، وعنده علم بالأدلة الشرعية: القرآن، والسنة، والإجماع،

والقياس الصحيح، لكن بسبب فتنة التقليد وقع ما وقع؛ حتى أن بعض العلماء

ألف في ذم التقليد سواء الخطيب البغدادي، وهكذا ابن عبد البر، ومن

المتأخرين: الشوكاني، والصنعاني، والمقبلي من علماء اليمن، ولما ذهب

المقبلي إلى مكة فأرا من الرافضة وصل إلى علماء مكة وهم مجمعون على

التقليد فألف كتابه: "العلم الشامخ في رد أقوال الآباء والمشايخ" فحكموا عليه

بالزندقة فقال تلك المقولة المشهورة: (ناصبي في صنعاء ولا زنديق في مكة)،

ورجع إلى اليمن، يعني: كان الشيعة باليمن يسمونهم ناصبي ينصب العداء لآل

البيت حتى قيل فيه شعر:

المقبلي ناصبي أعمى الإله بصره ❀❀ فرق ما بين النبي وأخيه حيدرة

لا تعجبوا من بغضه للعترة الطاهرة ❀❀ فأمة معرفة وأبوه نكرة



لكن لما ذهب إلى مكة وجعل يحذرهم من التقليد قالوا: هذا زنديق، وهذا هو طريقهم في التزهيد من علماء السنة، وهو لم يصفوا في عقيدته بقيت رواسب من الاعتزال، لكن كان مريداً للحق مريداً للسنة؛ ولذلك خرج من مذهب الرافضة، وخرج من مذهب المقلدة إلى الطريق الصحيح، وما بقي عنده من الرواسب نسأل الله أن يعفو عنه ويغفر له فيها.

(وَشَرُّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ) أي: شر التقليد: (فِي سُورَةِ الزُّخْرَفِ كَالْتَّبَيَّانِ)

يعني: أي لما قيل لهم: لماذا عبدتم غير الله؟ ﴿قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٤]، أي: أن سبب شركهم التقليد.



الإيمان بكرامات الأولياء

- **الولي**: هو المؤمن التقي، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، فمن كان لله تقيًا كان لله وليًا، والولاية لا تنال بالرياضة فما عليه الصوفية عندهم الولاية تنال بالرياضة؛ ولذلك يجيع نفسه ويؤدها باللبس الخفيف في البرد، ولبس الثقيل في الحر، ومنع نفسه من كثير من الطيبات، وربما يصوم أيام متتابعات بسحور خفيف؛ بحيث أنه يقول: يصفى عقله ويريض نفسه، حتى يصل إلى مرتبة الولاية، وربما قام ببعض البدع كالاستغفار ألف مرة، وألفين مرة، وعشرة ألف مرة، والتسبيح ألف مرة، أو كذا كذا ألف مرة، ولا إله إلا الله كذا كذا ألف مرة؛ من أجل أن يصل إلى الولاية، ويرى تحقق الولاية له، وربما تكلفوا الولاية تكلفًا يقول: إذا تحولت المسبحة في يدي إلى ثعبان صرت وليًا، وعندهم إذا صار الإنسان وليًا أحلت له المحرمات وأبيحت له الممنوعات، ويترك التكاليف يعتبرون الصلاة، والصيام، والحج، والقيام، هذه أفعال العامة، أما إذا بلغوا إلى درجة اليقين: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، ترفع عنهم التكاليف، هذا قول باطل، الله عز وجل يقول لنبيه: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، أي: الموت، قالت أم العلاء: أما هذا فقد جاءه، اليقين: أي الموت، وهم جعلوه رتبة، فالمكلف يجب عليه أن يكون عبدًا لله حتى يلقي الله، ما هناك مرتبة يصل إليها يباح له الحرام، هذا عند غلاة الصوفية،



وعند الراضة، وعند المكارمة، عند هؤلاء المخالفين من الزنادقة، وأما الأولياء فهو المؤمن التقي كلما كان مبادراً إلى المبرات مسارعاً إلى الخيرات يكرمه الله، لكن قد تظهر له كرامة وقد لا تظهر، ليس من شروط الولاية: أن تظهر الكرامة، لكن في الغالب أن الإنسان إذا اضطر اضطراراً قد يجعل الله له كرامة، مثل أولئك النفر الذين دخلوا الغار فانفلتت عليهم صخرة، ثم دعا الله فأكرمهم الله برفعها، وهكذا ما كان من أصحاب الكهف، وهكذا ما كان من أسيد بن حضير وعباد بن بشر حين خرجوا من عند النبي صلى الله عليه وسلم فكان معهم مثل القنديل يمشي بهم، فلما تفرقا صار مع كل واحد منهم مثل القنديل، في أشياء يذكرها العلماء في كتب (كرامات الأولياء).

لكن ليس كرامات الأولياء للنبهاني، هناك كرامات الأولياء اللالكائي، وكرامات الأولياء لغيره، أما كرامات الأولياء للنبهاني هو كتاب شركي، كتاب بدعي، وهكذا كرامات الأولياء لليافعي الذي هو مصدر الأهلاني في كتابه يعني: يذكرون للعيدروس من الكرامات: أنه يحيي الموتى، ومن هذا البلايا ويذكرون من كرامة أوليائهم: أنهم يعلمون الغيب، هذه ليست بكرامة هذه مهانة، من ادعى شيئاً من خصائص الله فهو مهان.

قال رحمه الله:

- ١٧٥- **وَإِسْعَ أَخِي لِسُبُلِ الْوَلَايَةِ** ❁ إِذْ أَنْهَاهَا الطَّرِيقُ لِلْهِدَايَةِ
- ١٧٦- **وَإِحْرَضَ عَلَيَّ تَحْقِيقَ فِعْلٍ** ❁ وَبَعْدَهُ الْمَنْدُوبُ فَلْتَقَارِبِ
- ١٧٧- **دَلِيلُهُ مَا أَخْرَجَ الْبُخَّارِي** ❁ حَدِيثُ (مَنْ عَادَنِي) فَلَا تُمَارِ
- ١٧٨- **وَمَا أَتَى مِنْ جُمْلَةِ الْخَوَارِقِ** ❁ مِنْ طَائِعٍ لِرَبَّنَا مُوَافِقٍ ^(١)
- ١٧٩- **فَإِنَّهَا مِنَ الْكِرَامَاتِ الَّتِي** ❁ بِهَا نَقُولُ فَاقْفُ لِلْأَدْلَةِ
- ١٨٠- **وَرَدَّهَا جَمْعٌ مِنَ الضُّلَالِ** ❁ وَقَوْلُهُمْ مِنْ جُمْلَةِ الْمُحَالِ
- ١٨١- **يَرُدُّهُ الْقُرْآنُ نُمَّ السُّنَّةُ** ❁ إِجْمَاعُ أَسْلَافٍ لِرَبِّي الْمِنَّةُ
- ١٨٢- **فِي سُورَةِ الْكَهْفِ بَيَانٌ ذَا يَفِي** ❁ قَدْ قُلْتُ خُذْهَا وَبِهَذَا نَكْتَفِي

الشرح:

- يقول: **(وَإِسْعَ أَخِي)** يعني: أعمل واسعى **(لِسُبُلِ الْوَلَايَةِ)** للوصول إلى الولاية، والله عز وجل يتولى الصالحين، قال تعالى: **﴿إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾** [الأعراف: ١٩٦]، والولاية لا تنال بالأمانى، وإنما تنال بالأعمال، قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾** [مريم: ٩٦]، **(إِذْ أَنْهَاهَا الطَّرِيقُ لِلْهِدَايَةِ)** للهداية إلى الجنة، وللهداية إلى كل خير، **(وَإِحْرَضَ عَلَيَّ تَحْقِيقَ فِعْلٍ الْوَاجِبِ)** أول طرق الولاية الحرص على تحقيق فعل الواجب ابدأ بالفرائض كالتوحيد، والصلاة، والصيام، والحج،

(١) من المنظومة السَّفَارِينِيَّة.

والزكاة وغير ذلك من الأركان، **(وَبَعْدَهُ الْمُنْدُوبُ فَلْتَقَارِبِ)** بعده الأفعال المندوبة المستحبة ما تحرص على المندوبات وتترك الواجب هذا غلط، بل بدأ بالواجبات، ثم المندوبات، والدليل على ذلك.

(دَلِيلُهُ مَا أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ) البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي، في "صحيحه": **(حَدِيثٌ (مَنْ عَادَى))** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ»**، حديث أبي هريرة رضي الله عنه، **(فَلَا تُمَارِ)** فلا تجادل ما هو الشاهد منه؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: **«وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْتَاطِسُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ»**^(١).

(وَمَا أَتَى مِنْ جُمْلَةِ الْخَوَارِقِ) يعني: ما أتى في النصوص الشرعية، وفي الأدلة الثابتة بأسانيد الثابتة من الخوارق الأمور المخالفة للعادة الأمور المخالفة للعادة وربما يسميها بعضهم الآيات؛ لأن الخارق قد يشترك فيه البر والفاجر، والساحر والولي فيعبرون عنه بالآيات في حق الولي، **(مِنْ طَائِعٍ لِرَبِّنَا مُوَافِقٍ)**^(٢) بهذا الشرط، ما يأتي الخارق من المجاذيب هؤلاء الذي يمشي ومعه مثل هذا

(١) أخرجه "عون المعبود" حديث رقم: (.) .

(٢) من المنظومة السَّفَارِينِيَّة.

الذي يطلع الصوت ثم يقول: يا ابن علوان، ويطعن نفسه، ويريك عينه، ثم يردها أو يبقر بطنه ثم يرده هذا ما هو موافق هذا من المجاذيب من السحرة والمشعوذين والكهان والعرافين، ثم أيضًا الولي حقيقة ما يحرص على إظهار ما يقع له، وأما هؤلاء يتكلفون الإظهار والإشهار؛ حتى ذكروا عن الحلاج: أن أصحابه وتلاميذه كانوا يقولون: يا إمام نريد نخرج فسحة، يقول: إذا لا تحملوا معكم زادًا، ولا تحملوا معكم حلوى، ولا تحمل معكم شيئًا، ثم يذهب إلى منطقة من المناطق فيقولون: جعنا يا إمام عطشنا يا إمام، فيقوم يحفر ويخرج لهم الحلبة ويخرج لهم الماء البارد فيشربون ويتنعمون، وهو في الحقيقة إنما كان يرسل من يدفن هذه الأشياء قبل أن يأتي للمكان الموعود، ثم يظهر لهم أنه ولي، وهكذا ابن تورك أو نحو هذا الاسم كان يدفن الأحياء يقول لبعض أتباعه أنا سأدفنك هنا في هذا القبر حتى تأتي بالناس فيأتي إلى الناس ويدخل في ليبيا والجزائر وتلك البلدان فيقولون: من يشهد لك؟ يقول: أصحاب المقابر، إذا شهد لي أصحاب المقابر إني ولي وإني كذا تتبعوني، قالوا: نتبعك، فيذهب بهم إلى المقبرة فيقول: يا فلان هل تشهد أني ولي من أولياء الله؟ فيقول: نعم أنت ولي، ثم يدوس على ذلك المكان الذي قد جعله لخروج الصوت ويموت المدفون مع خبره فيتكلفون الولاية تكلفًا بخلاف المستقيمين، هل يتكلف لها؟ لا ما يتكلف، أن أظهرها الله أظهرها، أما إذا لم يظهرها فعندنا قاعدة: إن أعظم كرامة دوام الاستقامة، هذه أعظم كرامة سواء طرت في الهواء، أو مشيت على

الماء، أو جاءك فرج في وقت شدة أو غير ذلك، ما دمت لله طائعاً ورسوله مقتفياً فأنت من أولياء الله.

(فَائِيهَا مِنَ الْكَرَامَاتِ الَّتِي **بِهَا نَقُولُ فَاقْتَفُ لِلْأَدَلَّةِ) يعني: اتبع الأدلة في

هذا ولا تنكر هذه الأمور؛ لأن الذين ينكرونها هم المعتزلة ومن إليهم، وقد ألف ابن تيمية رحمه الله كتاب "الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" للتفريق بين مدعي الولاية؛ للتفريق بين مدعي الولاية وبين من هو الولي حقاً.

(وَرَدَّهَا جَمْعٌ مِنَ الضُّلَالِ) أي: رد الكرامات الأولياء مثل المعتزلة ومن

إليهم، **(وَقَوْلُهُمْ مِنْ جُمْلَةِ الْمُحَالِ) يعني: قول محال قول بعيد لماذا؟ لأنها أصلاً**

واقعة، فلو نظرت في الكتب تجد بالأسانيد الصحيحة مثل: فعن ابن عمر، أن

عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَطَبَ يَوْمًا بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ: يَا سَارِيَّةُ بِنْتُ زَيْنِمِ الْجَبَلِ، مَنْ

اسْتَرَعَى الدُّبَّ فَقَدْ ظَلَمَ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: تَذَكَّرُ سَارِيَّةَ وَسَارِيَّةَ بِالْعِرَاقِ؟ فَقَالَ

النَّاسُ لِعَلِيٍّ: أَمَا سَمِعْتَ عُمَرَ يَقُولُ: يَا سَارِيَّةُ وَهُوَ يَخْطُبُ عَلِيَّ الْمُنْبَرِ

[ص: ١٢٩]، فَقَالَ: وَيُحَكِّمُ دَعُوا عُمَرَ فَإِنَّهُ مَا دَخَلَ فِي شَيْءٍ إِلَّا خَرَجَ مِنْهُ، فَلَمْ

يَلْبَثُ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَدِمَ سَارِيَّةُ فَقَالَ: سَمِعْتُ صَوْتَ عُمَرَ فَصَعِدْتُ الْجَبَلَ^(١)،

فسلم الله المسلمين.

وهكذا على ابن الحضرمي يذكرون: أنه لما أراد أن يدخل في غزو البحرين

دخل البحر بفرسه، وهكذا يذكرون في قصة أبي مسلم الخولاني: أنه أدخل في

(١) "كرامات الأولياء" للألكائي.

النار، حسنها بعض أهل العلم، وبعضهم يضعفها، وإن عمر عانقه وقال: الحمد لله الذي جعل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من هو مثل إبراهيم عليه السلام، في هذا الشأن كرامات كثيرة، ومنها: ما تقع في آخر الزمان لذلك الرجل الذي يقتله الدجال ثم لا يستطيع قتله، ومنها: في آخر الزمان للمؤمنين حيث يكون طعامهم التسبيح والتحميد والتكبير إلى غير ذلك كرامات كثيرة مذكورة في القرآن ومذكورة في السنة.

(يُرْوَدُهُ الْقُرْآنُ ثُمَّ السُّنَّةُ ❦❦ ❦ **إِجْمَاعُ أَسْلَافِ لِرَبِّي الْمِنَّةُ**) أي: إجماع السلف الصالح أبو بكر رضي الله عنه كان يتعشى مع أصحابه والعشاء قليل، فتأخر عند النبي صلى الله عليه وسلم من أجل إن يتعشى الضيوف، فلما رجع وصل وما قد تعشوا فسب ولده عبد الرحمن قال: ما هذا يا غدر والله لا أطعمه، فقال الضيوف: والله ونحن ما طعمناه إلا وتطعمه، فقال: يمين من الشيطان وكفرها، أكيد هو يكفر الأيمان كما قالت عائشة، ثم جعل يأكل قالوا: والله يا رسول الله ما ندري أكانت أكثر حين بدأنا فيها أم لما انتهينا منها، وهكذا ما حصل لجابر عندما دعا النبي صلى الله عليه وسلم على طعام يكفي خامس خمسة وعلى داج صغيرة ما تكفيه إلا خمسة ومع ذلك دعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحاب الخندق وكانوا ألف وخمسمئة؛ ❦❦ .. كرامات من الله عز وجل.

(في سُورَةِ الْكَهْفِ بَيَانُ ذَا يَفِي) قصة أهل الكهف يعني: ثلاثمئة وتسع سنوات وهم في كهف وجدوهم على حالة طيبة ورزق حسن، وما لحقهم شيء



من الضرر، (قَدْ قُلْتُ خُذْهَا وَبِهَذَا نَكْتَفِي) يعني: من أخذ يأخذ بالدليل الواحد
يكفيه، وأما الذي ما يريد إلا أدلة كثيرة ويقول لك: أنا ما أو من بهذا، هذا لا
تلتفت إليه، فمن لا يكفيه دليل واحد لا كفاه ألف دليل.





الجامع في أبواب البر والصلة وما يتعلق بها

- أغلب المصنفين والمؤلفين يجعلون في آخر كتبهم مثل هذا الباب: **(الجامع)** لأن الإنسان إذا أراد أن يفصل في أبواب الدين يتسع المجال ويكثر الأبواب والفصول، لكن هذا الجامع فيه إشارة للمهمات التي يحتاجها المسلم ولا يستغني عنها، **(في أبواب البر)** البر: ملازمة الكتاب والسنة قولاً وفعلاً واعتقاداً، **(والصلة وما يتعلق بها)** ما يتعلق بصلة الأرحام، وصلة ما أمر الله به أن يوصل، وما يدخل في هذا الباب مما يحتاج إليه المكلف.

قال رحمه الله:

- | | |
|--|---|
| عَنْ كُلِّ فَعْلٍ بَاطِلٍ وَزُورٍ ❀ | ١٨٣- سَلَامَةُ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ |
| فَحُذِّ بُنْصُحِي وَاسْتَمِعْ كَلَامِي ❀ | ١٨٤- وَعِفَّةُ النَّفْسِ عَنِ الْحَرَامِ |
| وَاجْتَنِبِ النَّهْيَ طَرِيقَ الْعَاثِرِ ❀ | ١٨٥- وَاعْمَلْ بِمَا اسْتَطَعْتَ مِنْ أَوْامِرِ |
| وَالْأُمَّمِ وَصَّانَا بِهَا الْعَلِيمِ ❀ | ١٨٦- أَبُوكَ أَيْضًا حَقُّهُ عَظِيمٌ |
| وَأَحْسِنِ الْجِوَارَ دَوْمًا وَأَشْكُرِ ❀ | ١٨٧- فِي صِلَةِ الْأَرْحَامِ لَا تُقْصِرِ |
| بِنَصِّ قَوْلِ الْمُضْطَفَى الْعَدْنَانِ ❀ | ١٨٨- أَرْحَامَنَا شَجْنُ مِنَ الرَّحْمَنِ |
| لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُمْ قَاطِعٌ ❀ | ١٨٩- فَلَازِمُوا وَصَلًا وَلَا تُمَانِعُوا |
| فِعْلٌ حَمِيدٌ فَالْتَزِمِ يَا صَاحِبِي ❀ | ١٩٠- أَدَّ أَمَانَةً بِهَا وَصَّى النَّبِيُّ |
| مَعَ الْعِبَادِ وَمَعَ الْخَلْقِ ❀ | ١٩١- وَلْتَلْتَزِمِ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ |
| إِذْ يُشْرِكُونَ إِنَّهُمْ حَيَارَى ❀ | ١٩٢- وَاحْذَرِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى |



- ١٩٣- وَاحْذَرُ أَخِي مِنْ طُرُقِ رَدِيئِهِ ❀ جَدِيدَةً فِي الشَّرِّ قُلْ عَصْرِيَّةُ
- ١٩٤- دُسْتُورُهَا نِظَامٌ دِيمُقْرَاطِي ❀ وَمِثْلُهُ الْمَعْرُوفُ بِالشُّقْرَاطِي (١)
- ١٩٥- وَآخِرُ مَشْهُورٍ بِالْعِلْمَانِي ❀ يَارَبِّ جَنَّبْنَا طَرِيقَ الْجَانِي
- ١٩٦- وَالْإِنْتِخَابَاتُ حَذَارٍ مِنْهَا ❀ تَحْوِي شُرُورًا فَإِلَيْكَ عَنْهَا
- ١٩٧- وَكُنْ مِنَ الْغَدْرِ بَرِيئًا وَابْتَعِدْ ❀ وَالْجَأُ إِلَى الْخَالِقِ إِنْ هُمْ وَجِدْ
- ١٩٨- وَمِنْهُ حَاذِرٌ لِنِسَةِ الْكُفَّارِ ❀ وَمَجْلِسَ الْأَشْرَارِ وَالْفُجَّارِ
- ١٩٩- وَصَابِرِ النَّفْسِ مَعَ الْأَخْيَارِ ❀ فِي حَاضِرِ الْحَالِ وَفِي الْأَسْفَارِ
- ٢٠٠- وَلَا زِمِ الصَّدْقَ أَخِي فِي الْقَوْلِ ❀ وَفِي اعْتِقَادٍ وَجَمِيلِ فِعْلِ
- ٢٠١- إِذْ أَنْتَ طَرِيقُ أَهْلِ الْبِرِّ ❀ وَجَانِبِ الْكِذْبِ طَرِيقَ الشَّرِّ
- ٢٠٢- لِأَنَّهُ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ❀ وَهُوَ جِمَاعُ سَائِرِ الشُّرُورِ
- ٢٠٣- وَحَالَ بَيْعٍ بَيْنَ بَصِيقِ ❀ وَحَاذِرِ الْغِشِّ بِطُرُقِ الرَّزْقِ
- ٢٠٤- فَالْكِذْبُ فِيهِ مَاحِقٌ لِلْبِرْكَهْ ❀ سَبِيلُ شَرٍّ وَطَرِيقُ مَهْلَكَهْ
- ٢٠٥- يَارَبِّ أَكْرَمْنَا بِطَيْبِ الْمَأْكَلِ ❀ وَمَشْرَبٍ وَلُبْسِ أَحْلَى الْحَلَلِ
- ٢٠٦- وَاحْذَرُ أَخِي فِتْنَةَ النِّسَاءِ ❀ شَرُّ عَرِيضٍ عَمَّ فِي الْأَرْجَاءِ
- ٢٠٧- حَيْثُ اخْتَلَطَ بِرِجَالٍ فِي الْعَمَلِ ❀ تَبْرُجٌ نَمَّ سُفُورٌ وَسَفْلُ
- ٢٠٨- يَارَبَّنَا أَضْلِحْ لَنَا الْأَبْنَاءَ ❀ وَأَضْلِحِ الرَّجَالَ وَالنِّسَاءَ
- ٢٠٩- وَاحْذَرُ أَخِي فِتْنَةَ الْمَعَارِيفِ ❀ وَالْحَمَرَ جَانِبَهَا وَعَنْهَا عَارِيفِ

الشرح:



يقول: (سَلَامَةُ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ) مما ينبغي أن يعتنى به ابتداء سلامة القلوب والصدور؛ وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١)، ولَمَّا سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أفضل الناس، فقال: «كُلُّ مَحْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَحْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّتْقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ»^(٢)، (عَنْ كُلِّ فِعْلٍ بَاطِلٍ) يخالف الكتاب والسنة، (وَزُورٍ) من عطف الشيء على معناه، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٤].

(وَعِفَّةُ النَّفْسِ عَنِ الْحَرَامِ) أيضًا مما ينبغي للإنسان أن يسلكه: يكون عفيف النفس عن الحرام، سواء في باب الأموال أو في باب الأعراض أو في غير ذلك من الأبواب، وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى، وَالْعِفَافَ وَالْغِنَى»^(٣)، (فَخُذْ بِنُصْحِي وَاسْتَمِعْ كَلَامِي) لأنه نصح مأخوذ من الكتاب والسنة، ومؤداه إلى رضا الله سبحانه وتعالى، ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم، والأخذ بالنصيحة سلامة للمنصوح في الدارين لا سيما النصيحة

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٢)، ومسلم برقم: ١٠٧- (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رضي

الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٤٢٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: ٧٢- (٢٧٢١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

المأخوذة من الكتاب والسنة.

(وَاعْمَلْ بِمَا اسْتَطَعْتَ مِنْ أَوْامِرٍ) لقول النبي صلى الله عليه وسلم: **«وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»**^(١)، وقال الله عز وجل: **«فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»** [النور: ٦٣]، وقال الله عز وجل: **«وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»** [آل عمران: ١٣٢]، **(وَاجْتَنِبِ النَّهْيَ طَرِيقَ الْعَائِرِ)** طريق المخالف للكتاب والسنة الذي يتعثر بسبب مخالفته، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ»**^(٢)، وقال الله عز وجل: **«فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»** [النساء: ٦٥]، في باب أمر الله بما استطعت، وفي باب النهي ليس فيه الاستطاعة؛ لأن النهي لا فعل فيه، إنما هو ترك النهي لا فعل فيه ولا تكلف، إنما هو ترك.

(أَبُوكَ أَيْضًا حَقُّهُ عَظِيمٌ) ذَكَرَ حَقَّ الْأَبِ وَيَلِيهِ حَقُّ الْأُمِّ؛ لَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَصَّى بِهِمْ فِي كِتَابِهِ، وَهَكَذَا رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَحِيحِ سُنَّتِهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **«وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا»** [الإسراء: ٢٣]، وقال الله عز وجل: **«وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا»** [النساء: ٣٦]، وقال الله عز وجل: **«وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا»**

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٢٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٢٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه..

[الأحقاف: ١٥]، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمَّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمَّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمَّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوك»^(١)، وفي حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ»^(٢)، وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا، ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَأَسْحَقَهُ»^(٣)، **وَالْأُمَّ وَصَانًا بِهَا الْعَلِيمُ** أي: وصى بها الله عز وجل، لكن طاعتها في طاعة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

(في صلة الأرحام لا تقصير) أيضًا صل الأرحام والله عز وجل قد جعل صلة الأرحام من أسباب البركات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(٤)، والمفرط في رحمه معرض للوعيد، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٣]، وفي حديث عمران رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٩٧١).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٩٠٠) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٩٠٢٧) عن أبي مالك رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٩٨٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»^(١)، وزاد مسلم في رواية له: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ رَجِمٌ»^(٢)، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُصِلْ رَحِمَهُ»، (وَأَحْسِنِ الْجَوَارَ دَوْمًا) أيضًا أحسن الجوار، قال الله عز وجل: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ»^(٣)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: : «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ»^(٤)، (وَأَشْكُرْ) اشكر الله عز وجل على نعمه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، في حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»^(٥).

(أَرْحَامُنَا شَجْنٌ مِنَ الرَّحْمَنِ) ❖❖❖ بِنَصِّ قَوْلِ الْمُصْطَفَى الْعَدْنَانِ (إشارة إلى

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٩٨٤) ومسلم برقم: ١٨- (٢٥٥٦)، عن جبير بن مطعم رضي

الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٩- (٢٥٥٦).

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٩٤٣) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٠١٦) عن أبي شريح رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم حديث رقم: ٨٩- (٢٧٣٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.



حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكَ وَصَلْتَهُ، وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتَهُ»**^(١).

(فَلَا زُمُوا وَصَلًا وَلَا تَمَانِعُوا) حتى وإن جفوك، ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها، **(لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُمْ قَاطِعٌ)** تقدم الحديث، وهذا على الوعيد وإلا فمن مات على الإسلام ماله إلى الجنة، لكن هذا على الوعيد أي: أنه مستحق لهذا الوعيد، وهذا دليل على أن قطيعة الأرحام كبيرة من كبائر الذنوب.

(أَدْ أَمَانَةٌ بِهَا وَصَى النَّبِيُّ) قال تعالى: **«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا»** [النساء: ٥٨]، والنبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه الله كان يأمرهم بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة، والأمانة، وفي الحديث: **«أَدْ الْأَمَانَةُ إِلَىٰ مَنْ أَيْتَمَّنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»**^(٢)، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم: **«آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»**^(٣)، **(فِعْلٌ حَمِيدٌ فَالْتَزِمَ يَا صَاحِبِي)** أي: أن الأمانة فعل حميد، كان يتحلى بها بعض الجاهليين، إنك لتؤدي الأمانة في قضية أبي بكر رضي الله عنه هذا قبل أن يكون مسلمًا موحدًا وبعد إسلامه وتوحيد بلا شك ولا ريب أنه أكمل وأفضل.

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٩٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٢٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(وَلْتَلْتَزِمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) جميع مكارم الأخلاق، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(١)، وقال الله عز وجل: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» [القلم:٤]، وقال: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» [النحل:٩٠]، (مَعَ الْعِبَادِ وَمَعَ الْخَلَائِقِ) مع العباد بكف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه، كما عرفها عبد الله بن المبارك ونقلها عنه الترمذي يعني: يكون حسن الخلق مع العباد بثلاثة أمور: كف الأذى عنهم، وطلاقة الوجه لهم، وبذل الندى بذل المعروف من عطاء، وهدية، وهبة ونحو ذلك، وأما مع الخالق فهو توحيده، قال تعالى: «وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» [البقرة:١٩٥]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبِدِيءَ»^(٢)، ويدخل فيه: التوحيد ابتداءً، قال الله عز وجل عن نبيه: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» [القلم:٤]، وفي حديث أنس وابن عمرو رضي الله عنهما: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا^(٣).

(وَاحْذَرُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى) يعني: احذر من مشابعتهم، واحذر من متابعتهم، واحذر من التأثر بشبههم، وذكر اليهود والنصارى دون غيرهم من

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٨٩٥٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٠٠٢) عن أبي الدرداء.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٢٠٣).

الكفار؛ لأن الأمة تتابعهم في كثير من شأنها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«لَتَسْبِعَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بَاعًا يَبَاعُ، وَذِرَاعًا يَذْرَاعُ، وَشَبْرًا يَشْبِرُ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرٍ ضَبُّ لَدَخَلْتُمْ فِيهِ»**، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ إِذَا»^(١)، **«إِذْ يُشْرِكُونَ إِيْتَهُمْ حَيَارَى»** ذكرنا الشرك؛ لأن بعض دعاة وحدة الأديان وحوار الأديان يثبتون لهم دينًا سماويًا، وربما أثبتوا لهم الجنة ويقولون: يدخل كل مؤمن بالله الجنة بغض النظر عن شركهم وإلحادهم وفجورهم، وحيارى في شأن أنبيائهم، قال تعالى: **«فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ»** [البقرة: ٨٧]. ومتهوكون.

«وَاحْذَرِ أَخِي مِنْ طُرُقِ رَدِيَّةٍ ❁❁ جَدِيدَةٍ فِي الشَّرِّ قُلْ عَصْرِيَّةً» احذر من جميع الطرق المخالفة للكتاب والسنة لا سيما الطرق العصرية التي يلتبس شأنها على كثير من الناس، يقول لك: ما هناك دليل على تحريم الديمقراطية أو الانتخابات أو كذا وكذا مع أن هذه داخلة تحت عمومات.

«دُسْتُورُهَا نِظَامٌ دِيمُقْرَاطِي» دستورها نظام ديمقراطية، الديمقراطية: حكم الشعب نفسه بنفسه، وهي نظام أسسه الفلاسفة اليونانيون: أفلاطون، وأبو قراط وأرسطو، وكانت الدولة الديمقراطية في عهدهم لا تزيد عن خمسة ألف إذا زادت عن خمسة ألف واحد يتخلصون منه إما بطرد، وإما بقتل، وإما بأي وجه كان؛ لأنهم يريدون دولتهم أن تكون حاکمة لنفسها، فإذا زاد العدد يحتاجون

(١) أخرجه البخاري بنحوه حديث رقم: (٧٣١٩)، وابن ماجه برقم: (٣٩٩٤) واللفظ له.

إلى حاكم، لكن مدينة فيها خمسة ألف كل واحد يقبل على شأنه فهي من وضع البشر نظام سيء، يدعو إلى أن السيادة للشعب وأنه لا صوت فوق صوت الشعب ويردون دلالة القرآن والسنة الحكم لله وغير ذلك تبتتها في هذه الأزمة المتأخرة عن أمريكا التي تسمى نفسها راعية الديمقراطية، الصحيح: أن الديمقراطيين دكاترة دكتاتوريون يتسلطون على من خالفهم بالظلم والقهر وغير ذلك، والحكم فيها للأغلبية ليس حكم الشعب كما يقولون، فمن مساوئها التي يعترف بها هم: أنها حكم الأغلبية، والأغلبية الذين يفوزون هم التجار أو المسؤولون مع أنها مخالفة للكتاب والسنة كما بين ذلك في كتابنا: (الأدلة الرضية في بيان حكم الديمقراطية)، (وَمِثْلُهُ الْمَعْرُوفُ بِالثَّقْرَاطِي)

الثقراطي: هي الحكومة المدنية التي يسعى أربابها الآن إلى إقامتها في كثير من البلدان، ومقام ثورة الربيع العربي إلا من أجل إقامة هذه الحكومة الشيوقراطية أو المدنية التي يتساوى فيها الرجال والنساء، وفيها المؤمنون والكفار، والأبرار والفقار، كل الناس فيها سواسية، فهي مذهب هدام يدعو إلى مخالفة الكتاب والسنة، الحكومة المدنية.

(وَأَخْرَجَ مَشْهُورٌ بِالْعِلْمَانِي) العلمانية: فصل الدين عن الدولة، فلما فضحت جاءوا بالديمقراطية، فلما فضحت جاءوا بالثقراطية والعلومة في بابها فهم يسعون إلى فصل الدين عن الدولة، معناه كما يقولون: الدين لله والوطن للجميع، يفعلون ما شاءوا من مخالفة الكتاب والسنة والدين، ربما يكون



عندهم في القلب أو ما دمت تصلي فأنت وأنت إلى غير ذلك.

الشاهد: أن النظام الديمقراطي، والنظام الشيوعي، والنظام العلماني قد تكلم العلماء وحذروا منه، (يَا رَبِّ جَنِّبْنَا طَرِيقَ الْجَانِي) يعني: دع ليجنبك الله طريق المخالفين للكتاب والسنة.

(وَالِإِنِّيخَاتَابَاتُ حَذَارٍ مِنْهَا) احذر من الانتخابات؛ لأنها إحدى أسس الديمقراطية، ولا تقوم الديمقراطية إلا عليها، ويسمونها ويقوم فيها الشأن على الأكثرية، ويسمونها تلبيساً الشورى وليست بشورى، هي محرمة؛ لما فيها من التشبه بالكفار، ولما فيها من مساواة الرجال بالنساء، ولما فيها من مساواة الأبرار بالفجار والمؤمنين بالكفار، ولما فيها من الكذب والتزوير والتلبيس وتصوير ذوات الأرواح وما تأدي إليه من القتل ونحو ذلك، (تَحْوِي شُرُورًا فَإِلَيْكَ عَنْهَا) تقدم بعض شرورها فإليك عنها احذرها أما عندنا في الإسلام هناك الشورى والشورى تكون بأهل الحل والعقد أما الانتخابات في كل من هب درج الانتخابات في كل من هب ودرج يعني: ربما في أفسق الناس إذا اختاره الأكثرية فاز، قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، أما أهل الحل والعقد هم العقلاء من كل طائفة سواء من السياسيين أو من العسكريين أو من الاقتصاديين أو يدخل فيهم دخولاً أولياً للعلماء الربانيون الذين يعلمون مصالح العباد.

(وَكُنْ مِنَ الْغَدْرِ بَرِيئًا وَابْتَعِدْ) قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لِكُلِّ غَادِرٍ

لِوَاءٍ عِنْدَ اسْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١) ألا ولا غادر أعظم من أمير عامة يغدر بأمته ويغدر بأصحابه، وفي آيات المنافق: إذا حدث غدر، وهو الخيانة في موطن الائتمان، (وَالْجَأُ إِلَى الْخَالِقِ إِنْ هُمْ وُجِدَ) يعني: إذا نزل بك همُّ الجأ إلى الله، هذه نصيحة متصلة بالنصيحة الأولى: أن الأنسان إذا نزل به هم ينزله بالله ويدعو الله كثيرًا لعله يفلح.

(وَمِنْهُ حَازِرٌ) ومنه مما ينبغي أن يكون الإنسان في حذر منه حاطر: (لَيْسَةَ الْكُفَّارِ) لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(٢)، هذا على الوعيد، ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو بن العاص ثوبًا قال: «أحرقه» قال: أغسله، قال: «أحرقه إنه من لباس الكفار»، (وَمَجْلِسِ الْأَشْرَارِ وَالْفُجَّارِ) ابتعد عن مجالس أهل البدع والريب ومجالس اللغو ومجالس الزور؛ لأن من جالس جانس، والله عز وجل يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨].

(وَصَابِرِ النَّفْسِ مَعَ الْأَخْيَارِ) وصابر النفس مع الأخيار، اصبر مع الأخيار وأجلس معهم واستفد من نصائحهم وتوجيههم، كما قال الله عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٥- (١٧٣٨) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٠٣١) عن ابن عمر رضي الله عنهما.



[الكهف: ٢٨]، **(في حَاضِرِ الْحَالِ وَفِي الْأَسْفَارِ)** سواء كنت في حاضرة أو في سفر لا تسافر إلا مع بر تأمن من مكرهه، وإذا كنت في بلدك فجالس الأخيار الذين إذا غافلت ذكروك، وإذا نسيت وجهوك، وإذا جهلت علموك، أما أن تجالس كل من هب ودرج فربما يجر جروك إلى الباطل.

(وَلَا زِمِ الصَّدَقَ أَخِي فِي الْقَوْلِ ❀❀ ❀❀ وَفِي اعْتِقَادٍ وَجَمِيلِ فِعْلٍ)؛ لأن بعضهم إذا قلت له: كن صادقاً يظن أن الصدق فقط صدق اللسان، هذا من الصدق وأعظم منه: صدق القلب، وكذلك صدق الجوارح، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾** [التوبة: ١١٩]. وقال: **﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾** [المائدة: ١١٩]، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: **«عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ، فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا»**^(١).

(إِذْ أَنَّهُ طَرِيقُ أَهْلِ الْبِرِّ) أي: الصدق، **(وَجَانِبِ الْكِذْبِ طَرِيقَ الشَّرِّ)** الكذب في الأقوال والأفعال والمعتقدات، قال تعالى: **﴿فَتَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾** [آل عمران: ٦١]، وقال صلى الله عليه وسلم: **«وَأَيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»**^(٢).

(١) أخرجه "عون المعبود" حديث رقم: (٠).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٠٥ - (٢٦٠٧).

(لَأَنَّهُ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ❁❁ وَهُوَ جَمَاعٌ سَائِرِ الشُّرُورِ) وهو جماع سائر الشرور كما أن الصدق جماع الخير؛ فإن الكذب إجماع الشر والظير.

(وَحَالَ يَبِيعُ بَيْنَ بَصِذِقٍ) إذا كنت ممن يبيع يشتري كن صادقاً في حال سومك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا - أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورِكَ لهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَّتْ بَرَكَتُهُ بَيْعِهِمَا»^(١)، (وَحَاذِرِ الْغَشِّ بِطَرْقِ الرَّزْقِ)؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَتَأَلَّتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَي يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»^(٢)، وأمر المسلمين قائم على الأمانة والصدق وعدم الخيانة.

(فَالْكَذِبُ فِيهِ مَا حَقَّ لِلْبَرَكَتِ) قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلْفِ فِي الْبَيْعِ، فَإِنَّهُ يُنْفَقُ، ثُمَّ يَمْحَقُ»^(٣)، وهكذا الكذب فإنه يمحق، ينفق ثم يمحق فتذهب البركات في الأموال، وفي البلدان في جميع الشأن، (سَبِيلُ شَرِّ وَطَرِيقُ مَهْلِكَةٌ) أي: الكذب سبيل الشر، طريق الشر والضلال، وطريق مهلكة في الدنيا والآخرة إذا لم يتب الله عز وجل على الكذاب.

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٣٤٥٧).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٠٢).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٣٢- (١٦٠٧) عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه.



(يَا رَبِّ أَكْرِمْنَا بِطَيْبِ الْمَأْكَلِ) وفي حديث سمرة في ذلك الرجل الذي يشر شره شقه إلى قفاه ومن منخره إلى قفاه هو الرجل الذي يكذب الكذبة تبلغ الأفاق، (وَمَشْرَبٍ وَبُسِّ أَحْلِى الْحَلَلِ) يدعو الإنسان ربه: أن يرزقه الحلال الطيب؛ لأن أكل الحرام صاحبه متوعد بالنار، قال صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَمٌّ نَبَتْ مِنْ سُحْتٍ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ»^(١).

(وَاحْذَرُ أُخِيَّ فِتْنَةَ النِّسَاءِ) لتكون على حذر لا سيما في هذا الزمن الذي كثر فيه الاختلاط، وكثرت فيه الجوالات، وكثرت وسائل الشر والفساد، (شَرٌّ عَرِيضٌ عَمَّ فِي الْأَرْجَاءِ) عمَّ في البلدان، وفي القرى، والمدن، وفي جميع الأنحاء. (حَيْثُ اخْتِلَاطٌ بِرِجَالٍ فِي الْعَمَلِ) وأيضًا في أماكن التسوق، ونحو ذلك، (تَبَرُّجٌ ثُمَّ سُفُورٌ) تبرج في اللباس والزينة، وإظهار للمحاسن، (وَسَفَلٌ) قلة دين، ربما تتكلم مع من هب ودرج، فالإنسان يكون حريص على صلاح نفسه.

(يَا رَبَّنَا أَصْلِحْ لَنَا الْأَبْنَاءَ) الدعاء بصلاح الأبناء؛ لأن الله إذا أصلحهم وأعانهم ووفقهم كان خيرهم في الدارين، (وَأَصْلِحِ الرَّجَالَ وَالنِّسَاءَ) دعاء عام بصلاح جميع الرجال وجميع النساء، لا سيما من المسلمين، ومن شاء الله هدايته من الكافرين.

(وَاحْذَرُ أُخِيَّ فِتْنَةَ الْمَعَارِيفِ) فتنة الأغاني؛ لأنها الآن المنتشرة لا سيما مع وسائل الموسيقى وما في بابها من الفتن، فكن على حذر حضورًا وسماعًا ونحو

(١) أخرجه الطبراني في "الأوسط" حديث رقم: (٦٦٧٥) عن حذيفة رضي الله عنه.



ذلك، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: «لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ
وَالْحَرِيرَ، وَالْحَمْرَ وَالْمَعَازِفَ»^(١)، (وَالْحَمْرَ جَانِبَيْهَا) يعني: كن في بعد عنها، (وَعَنْهَا
عَازِفٍ) كن في منأى منها؛ لأنها سبب للسكر والشر، وقد سميت بأُم الخبائث،
والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ شَرِبَ الْحُمْرَ فِي الدُّنْيَا، فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا،
لَمْ يَتُبْ مِنْهَا، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الآخِرَةِ»^(٢) وقال: «مَنْ شَرِبَ مِنَ الْحُمْرِ شَرْبَةً لَمْ تُقْبَلْ لَهُ
صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»^(٣).



-
- (١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٥٩٠) عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.
(٢) أخرجه النسائي حديث رقم: (٥٦٧٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(٣) أخرجه أحمد حديث رقم: (٦٦٤٤) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

الخاتمة

قال رحمه الله:

- ٢١٠- حَاوَلْتُ تَقْرِيْبًا لِهَذَا الْبَابِ ❀ مُتَقَفِيًّا لِلسُّبُلِ الصَّوَابِ
- ٢١١- فَاجْعَلْ لَهَا إِلَهَنَا الْقُبُولَا ❀ وَحَقِّقِ الْمَطْلُوبَ وَالْمَأْمُولَا
- ٢١٢- وَكُنْ أَخِي مُلْتَزِمًا بِالْعِلْمِ ❀ وَالذَّرْسِ وَالتَّذْرِيسِ حَتَّى الْفَهْمِ
- ٢١٣- تَنَالْ مِنْهُ رِفْعَةَ الدَّارَيْنِ ❀ زِيَادَةَ الْإِيْمَانِ وَالْيَقِيْنِ
- ٢١٤- فَإِنَّهُ إِزْثُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ❀ نَصٌّ فَيَا بُشْرَاهُ مَنْ كَانَ اقْتَفَى
- ٢١٥- وَفِي الْخِتَامِ أَشْكُرُ الرَّحْمَنَا ❀ بِالْعِلْمِ وَالْإِيْمَانِ قَدْ أَوْلَانَا
- ٢١٦- لَوْلَا اٰمِنَانُ اللهُ مَا اهْتَدَيْتُ ❀ لِفَقْهِ دِيْنِ اللهِ أَوْ اٰمَلَيْتُ
- ٢١٧- فَبَارِكِ اللهُمَّ فِي الْأَقْوَالِ ❀ وَفِي الْكِتَابَاتِ وَفِي الْأَفْعَالِ
- ٢١٨- وَالشُّكْرُ لِلْأَشْيَاخِ إِذْ قَدْ أَحْسَنُوا ❀ وَشَيْدُوا صَرْحًا عَظِيْمًا وَبَنَوْا
- ٢١٩- أَحْصُ مِنْهُمْ شَيْخَنَا الْهَمْدَانِي ❀ الْوَادِعِيَّ الْعَلَمَ الرَّبَّانِي
- ٢٢٠- ثُمَّ يَلِيهِ شَيْخَنَا الْحَجُّوْرِي ❀ كَلَيْتَ غَابِ أَسَدٍ هَضُورِ
- ٢٢١- وَارْحَمِ إِلَهِي وَالْإِدِيَّ وَأُمِّي ❀ قَدْ أَحْسَنَا تَأْدِيْبِنَا بِالْعِلْمِ
- ٢٢٢- أَكْرِمِ إِلَهِي شَاعِرًا أَمِينَا ❀ أَعْزِي التَّبَسِّيَّ شِعْرَهُ مُبِينَا
- ٢٢٣- وَابْنُ صَبِيْحٍ فِعْلُهُ جَمِيْلٌ ❀ وَالْقَدْسِيُّ فَاضِلٌ نِيْلٌ
- ٢٢٤- وَالشُّكْرُ مَوْصُولًا لِأَهْلِ السُّنَّةِ ❀ دُعَاةَ رُشْدٍ لَطْرِيْقِ الْجَنَّةِ
- ٢٢٥- وَإِنْ تَجِدْ عَيْبًا أَخِي فِي نَظْمِي ❀ فَالْعُذْرُ أَبْدِيْهِ لِضَعْفِ عِلْمِي



- ٢٢٦- أَيْبَانُهَا رَاءٌ وَلَا مٌ فِي الْعَدَدِ ❁ حَمْدًا لِرَبِّي نَالْنَا مِنْهُ الْمَدَدُ
- ٢٢٧- نَظَّمْتُهَا شَهْرَ جُمَادَى الْأُولَى ❁ بَعَوْنِ رَبِّي الْعَلِيِّ الْأَعْلَى
- ٢٢٨- مِنْ عَامٍ غَيْنٍ نُمَّ تَاءٍ يَا فَتَى ❁ وَالْفِ مِنْ بَعْدِ مِيمٍ قَدْ أَتَى
- ٢٢٩- هَذَا وَصَلَّى اللَّهُ مَا قَطُرٌ نَزَلَ ❁ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلٍ وَخَوَلُ
- ٢٣٠- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّمَامِ ❁ وَالشُّكْرُ أُبْدِيهِ عَلَى الدَّوَامِ

الشرح:

هذه الخاتمة لهذه المنظومة، يقول: (حَاوَلْتُ) في هذه المنظومة التي تقدم

بيانها: (تَقْرِيبًا هَذَا الْبَابِ) باب العقيدة والتوحيد وما يتعلق به، (مُقْتَبِيًا لِسُبُلِ

الصَّوَابِ) أي: متبعًا للطريق الصائب القائم على الأدلة من الكتاب والسنة.

(فَأَجْعَلْ لَهَا إِلَهَنَا الْقَبُولَا) لأن الله عز وجل إذا جعل القبول للإنسان أو لعلمه

كان فيه بركة ولا يرجع عليه، (وَحَقَّقِ الْمَطْلُوبَ) من نفع نفسي ونفع العباد ثانيًا

والإخلاص لك، (وَالْمَأْمُولَا) الذي نأمل به هذه الكتابات وبهذه العلوم التي نبثها

ونقولها.

(وَكُنْ أَخِي) هذه وصية أخيرة لطلاب العلم: (مُتَلِّزٍ مِنَ بِالْعِلْمِ) لا تفرط فيه،

كما قال الإمام أحمد: مع المحبرة إلى المقبرة، وقيل للإمام عبد الله بن المبارك

إلى متى تطلب العلم؟ قال: إلى الموت، (وَالدَّرْسِ وَالتَّدْرِيسِ حَتَّى الْفَهْمِ)

يعني: لازم الدروس وكذلك التدريس حتى تفهم العلم وتفيد وتستفيد.

فإذا فعلت ذلك: (تَنَالُ مِنْهُ رِفْعَةَ الدَّارَيْنِ) قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴿ [المجادلة: ١١]، (زِيَادَةُ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ) يزداد إيمانك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

(فَائِدَةٌ) أي: العلم: (إِزْتُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى) لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»^(١)، (نَصٌّ) من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وغيره، (فِيَا بُشْرَاهُ) أي: فليشتر بالخير: (مَنْ كَانَ اقْتَفَى) اكتفى لهذا السبيل وسلكه.

(وَفِي الْخِتَامِ) في ختام النظم: (أَشْكُرُ الرَّحْمَنًا) أشكر الله عز وجل الذي وفقني وسددني وعلمني وأعانني: (بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ) رزقنا علمًا فله الحمد ونسأله المزيد من فضله، وهكذا وفقنا للإيمان والسنة ونسأله المزيد من فضله وأن يتوفانا مسلمين، (قَدْ أَوْلَانَا) أعطانا.

(لَوْلَا امْتِنَانُ اللَّهِ مَا اهْتَدَيْتُ) لولا أن الله عز وجل امتن علي بالهداية ما اهتديت؛ لضعف حالي وقلة حيلتي، والله عز وجل يقول: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١]، وهذا مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم في شعر عبد الله بن رواحة:

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦٨٢) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

وَاللَّهُ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا ❀❀ وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

(لِفِقْهِ دِينِ اللَّهِ) أي: لفهم دين الله والعلم به، (أَوْ أَمَلَيْتُ) كتبت أو قربت فالأمر إلى الله عز وجل.

فبعد ذلك: (فَبَارِكِ اللَّهُمَّ فِي الْأَقْوَالِ) في جميع الأقوال من الخطب، والدروس، والنصائح وغير ذلك، (وَفِي الْكِتَابَاتِ) المكتوبة سواء الكتب المطولة أو المختصرة، (وَفِي الْأَفْعَالِ) الأعمال التي يقوم بها الإنسان من صلاة، وصيام، وحج، وقيام وغير ذلك.

(وَالشُّكْرُ لِأَشْيَاخٍ إِذْ قَدْ أَحْسَنُوا) لَمَّا شَكَرَ اللَّهُ شُكْرَ أَشْيَاخِهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ»^(١)، (وَشَيْدُوا صَرْحًا عَظِيمًا وَبَنَوْا) أي: صرح العلم، وأما البنائيات الحسية فقد حصل لها ما تعلمون، ولكن ما زال صرح العلم باقياً شامخاً، نسأل الله له الحفظ والعون.

(أَخْصُ مِنْهُمْ) يعني: العلماء الذين استفدنا منهم كثر سواء من الأحياء والأموات، لكن أذكر منهم من تتلمذنا عليهم كثيراً: (شَيْخَنَا الْهُمْدَانِي) ❀❀ الْوَادِعِيُّ الْعَلَمَ الرَّبَّانِي) وهو الشيخ: (مقبل بن هادي الوادعي)، أحد مجددي العصر، وأحد أئمة العلم والحديث والسنة في هذا الزمان.

(ثُمَّ يَلِيهِ شَيْخَنَا الْحَبُورِيُّ) الذي استخلفه شيخنا مقبل رحمه الله على كرسية، وقال لا ترضى به بديلاً ولا تنزلوه من على الكرسي، وهو شيخ صدق

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١١٧٠٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فيما نحسبه والله حسيبه، وَكَثُرَ أَعْدَاؤُهُ وَمَنَاوِئُوهُ؛ لصدعه بالحق، ولدعوته إليه، (كَلَيْتَ غَابِ أَسَدٍ هَـصُورٍ) لا سيما في محاربة على أهل البدع وبيان منهج أهل السنة والجماعة، وقد أتهم بالغلو وأتهم أصحابه بالغلو وهو في بُعد عن ذلك، وهكذا من إليه من طلاب العلم وإنما مرادهم اتباع الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح.

(وَازْحَمِ إِلَهِي وَالِدِي وَأُمِّي) الدعاء للوالدين كما عز وجل: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، (قَدْ أَحْسَنَّا تَأْدِيبَنَا بِالْعِلْمِ) قد أحسن التربية في أيام صغرنا وحفظنا الله عز وجل بهم من كثير من الشرور، وكانوا على اهتمام بنا من حيث الصلاة والحث على الخير والعلم حتى توفاه الله سبحانه وتعالى وهو أمرًا لي بطلب العلم والاهتمام به، ويقول: (لا أريدك أن تكون كمن يقوم فقط في المساجد خطابة وموعظة، ولكن أريد منك أن تكون عالمًا)، وأسأل الله عز وجل أن يحقق رجاءه وأن يحسن له المثوبة.

(أَكْرِمُ إِلَهِي شَاعِرًا أَمِينًا ❀ ❀ أَعْنِي التَّبَسُّي شِعْرَهُ مُبِينًا) وهذا أخونا الشاعر أمين التنسي الجزائري؛ وذلك لأنه ربما كان يشير علينا ببعض الإشارات، وهذا من تمام شكره على هذا المعروف الذي أسداه.

(وَإِبْنُ صَبِيحٍ فِعْلُهُ جَمِيلٌ) الشاعر عمر بن صبيح الحضرمي أيضًا له مراجعة جزاه الله خيرًا، (وَالْقَدْسِيُّ فَاضِلٌ نَبِيلٌ) وهو الشيخ: (فتح القدسي حفظه الله) كانت له المراجعة الأخيرة، وأسأل الله أن يوفقنا وإياهم جميعًا.



ثم لَمَّا خص قال: **(وَالشُّكْرُ مَوْصُولًا لِأَهْلِ السُّنَّةِ)** جميعًا أين كانوا في اليمن وفي غير اليمن، في الحاضرة وفي البادية، **(دُعَاة رُشْدٍ)** هم دعاة إلى الرشد والخير **(وِلطَرِيقِ الْجَنَّةِ)** للطريق الموصل إلى الجنة؛ لأنهم يحذرون من البدع والمخالفات.

(وَإِنْ تَجِدَ عَيْبًا أَخِي فِي نَظْمِي * * * فَالْعُدْرُ أُنْبِيهِ لِضَعْفِ عِلْمِي) أيضًا ولضعف طريقتي في الشعر، فإنما هو توفيق الله سبحانه وتعالى.
(أَيَّائِهَا رَاءٌ وَلَا مٌ فِي الْعَدَدِ) الراء ثلاثمة، واللام ثلاثون، **(حَمْدًا لِرَبِّي نالْنَا مِنْهُ الْمَدْدُ)** نالنا منه العون والتسليم.

(نَظَمْتُهَا شَهْرَ جُمَادَى الْأُولَى * * * بِعَوْنِ رَبِّي الْعَلِيِّ الْأَعْلَى).
(مِنْ عَامِ غَيْنٍ) ألف، **(ثُمَّ تَاءٍ يَا فَتَى)** أربعمئة، **(وَأَلْفٍ)** واحد، **(مِنْ بَعْدِ مِينٍ)** أربعون، يعني: عام ألف وأربعمئة وواحد وأربعين: **(قَدْ أَتَى).**
(هَذَا وَصَلَّى اللَّهُ مَا قَطَرٌ نَزَلَ * * * عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلٍ وَخَوَلٍ) على محمد صلى الله عليه وسلم كما أمرنا الله عز وجل، وعلى آله وهم أتباعه وعلى ملته، **(وَخَوَلٍ)** من خدمه في طاعة الله عز وجل.

(وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّمَامِ * * * وَالشُّكْرُ أُنْبِيهِ عَلَى الدَّوَامِ) حميد الله كما أفتح بالحمد ختمها بالحمد، وكذلك الشكر.

ونسأل الله عز وجل لنا ولكم التوفيق والسداد والقبول والحمد لله رب

العالمين^(١).



(١) وكان الانتهاء من تدريس هذه المنظومة في يوم: الثامن عشر الربيع الآخر لعام ثلاثة وأربعين وأربعمئة وألف، وهذا هو الدرس الثاني لها، سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، استغفرك ربي وأتوب إليك، والحمد لله رب العالمين.



الفهرس

٢	المقدمة.....
٤	مقدمة المتن.....
١٢	تقسيم التوحيد.....
٢٥	الكلام في الأسماء والصفات.....
٥٤	مراتب الدين مجملة ومفصلة.....
١٠٢	أشراط الساعة وما يتعلق بها.....
١١٢	وجوه طاعة أولياء الأمور في طاعة الله عز وجل.....
١١٨	القول في الصحابة رضوان الله عليهم.....
١٣٣	تقديم طريقة السلف على الخلف.....
١٤٤	الإيمان ببعض المغيبات.....
١٥٢	الأسماء والأحكام.....
١٦١	قال الأمر بالاتباع وذم التقليد.....
١٧١	الإيمان بكرامات الأولياء.....
١٧٩	الجامع في أبواب البر والصلة وما يتعلق بها.....
١٩٥	الخاتمة.....
٢٠٢	الفهرس.....